الفصل الأول

(سورة القصص بين سور القرآن الكريم)

الفصل الأول

(سورة القصص بين سور القرآن الكريم)

وفيه ثلاثة مباحث :

الأول : القرآن والقصص وبيئة السورة .

الثانى: الوحدة الموضوعية بين سورة القصص وبعض سور القرآن الكريم .

الثالث : ما انفردت به سورة القصص .

المبحث الأول

(سورة القصص بين سور القرآن الكريم)

وفيه :

أولاً : التعريف بالقرآن الكريم لغةً واصطلاحًا .

- القرآن الكريم لغةً .
- أقوال العلماء فى أصل كلمة القرآن .
- أقوال العلماء فى اشتقاق كلمة القرآن .
- القرآن شرعاً .

ثانيًا : أنواع القصص فى القرآن ، وتكراره ، وحكمته ، والعبرة منه .

أ) من حيث التكرار :

- فائدة التكرار القصصى .
- فوائد التكرار عند الباقلانى .

ب) من حيث الموضوع :

- قسم عن الأنبياء والرسل .
- قسم عن أفراد وطوائف .
- قسم عن حوادث وأقوام .
- الحكم والعبر من القصص القرآنى .

ثالثًا : بيئة السورة .

- الجو الذى نزلت فيه السورة .
- التعريف بها

١) مكيتها .

٢) عدد آياتها .

أ) سبب تسميتها .

ب) ترتيب السورة بين سور القرآن ، وأسباب نزول بعض آيها .

أولاً : التعريف بالقرآن الكريم لغةً واصطلاحًا :

القرآن الكريم لغةً :

يقال : (قَرَأَ) الكتاب ـ قِراءةً ، وقُرْآناً : تتبع كلماتِه نظراً ، ونطق بها .

و (قَرَأَ) الآية من القرآن : نطق بألفاظها عن نظر أو عن حفظ ، فهو قارئٌ .

و (قَرَأَ) الشيءَ قَرْءاً ، وقُرْآنًا : جمعه ، وضم بعضه إلى بعض [١] .

فالقرآن الكريم فى اللغة : مصدر (قرأ) بمعنى تلا ، أو بمعنى جمعه، تقول : قَرَأَ قَرْءاً وقُرْآناً، كما تقول : غَفَرَ غَفْراً وغُفْراناً ، فعلى المعنى الأول : (تلا) يكون المصدر بمعنى اسم المفعول، أى : بمعنى مَتْلُوّ ، وعلى المعنى الثانى : (جَمَعَ) يكون مصدراً بمعنى اسم الفاعل ، أو اسم المفعول، أى بمعنى أنه جامع لجمعه الأخبار والأحكام، ويجوز أيضا أن يكون بمعنى مجموع، لكونه جُمِعَ فى المصاحف والصدور [٢].

أقوال العلماء فى أصل كلمة (القرآن) :

نقل الإمام العلم الإمام السيوطى ـ رحمه الله تعالى ـ فى كتابه الماتع (الإتقان فى علوم القرآن) طرفاً من هذه الآراء ، وهو بصدد سرد أسماء القرآن الكريم ، ومعانى هذه الأسماء ، ومحور الاختلاف بين هذه الآراء حول كون القرآن مشتقاً أو غير مشتق ، ومهموزاً أو غير مهموز ، وتفرع عن هذا آراء وأقوال ، وهاكَ التفصيلَ :

---

(١) المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية– ط ٣ – مادة (قَرَأَ) .

(٢) ابن عثيمين ـ شرح أصول فى التفسير ـ تحقيق : صلاح الدين محمود السعيد ـ دار الغد الجديد القاهرة ـ المنصورة ـ ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧ م ـ ص (١٧) ـ بتصرف يسير .

أقوال العلماء فى اشتقاق كلمة (القرآن)

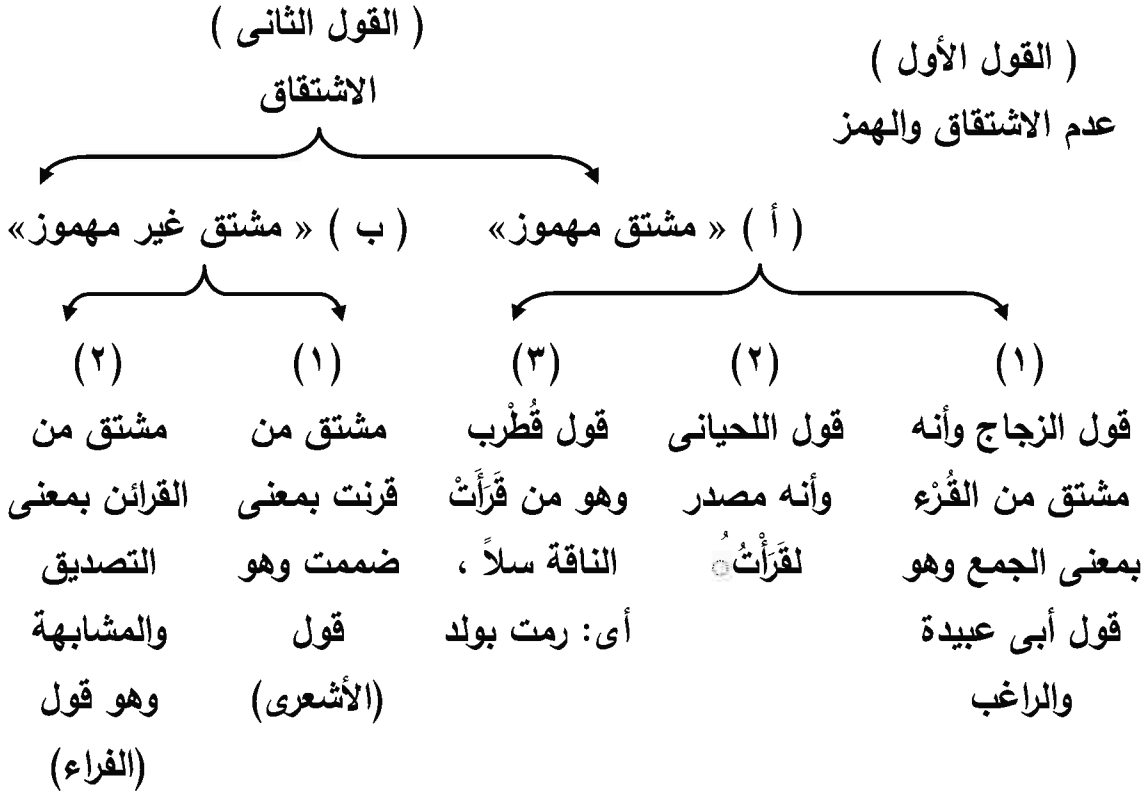

(القول الأول) عدم الاشتقاق :

قال جماعة : هو اسم عَلَمٌ غير مشتق ، خاص بكلام الله ، فهو غير مهموز ، وبه قرأ ابن كثير ، وهو مروى عن الشافعى ، أخرج البيهقى والخطيب وغيرهما عنه ، أنه كان يهمز (قرأت) ، ولا يهمز (القرآن) ويقول : القران اسم ، وليس بمهموز ، ولم يؤخذ من قرأت ، ولكنه اسم لكتاب الله، مثل التوراة والإنجيل .

(القول الثانى) الاشتقاق :

(أ) القرآن مشتق مهموز :

(١) قال الزَّجاج : والصحيح أن ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ، ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، فهو وصف على (فُعْلان) ، مشتق من (القَرْء)[١] ، بمعنى الجمع ، ومنه : قرأتُ الماء فى الحوض ، أى جمعته .

---

(١) (القرْء) بفتح القاف خلاف (القرْء) بضمها ، فالأول بمعنى الجمع ، والثانى اسم للدخول فى الحيض عن طهر ، ولما كان اسماً جامعاً للأمرين الطهر والحيض المُتَعَقِّب له أطلق على كل واحد منهما ، لكن قال الصنعانى فى سبل السلام : " واعلم أن هذه اختلف فيها سلف الأمة وخلفها مع الاتفاق أن القرء بفتح القاف وضمها يطلق لغةً على الحيض والطهر ، وأنه لا خلاف أن المراد

قال أبو عبيدة : وسُمِّىَ بذلك، لأنه جمع بعضها إلى بعض .

قال الراغب : لا يقال لكل جمع قرآن ، ولا لجمع كل كلام قرآن ، قال : وإنما سمى قرآناً، لكونه جَمَعَ ثمرات الكتب السالفة المنزَّلة ، وقيل : لأنه جمع أنواع العلوم كلها .

(٢) قال اللِّحياني : هو مصدر لقَرَأْتُ ، كالرُّجحان والغُفران ، سُمِّىَ به الكتاب المقروء، من باب تسمية المفعول بالمصدرَ.

(٣) قال قُطرب : إنه إنما سُمِّىَ قرآناً لأن القارئ يُظهِره ويُبَيِّنُه من فيه ، أخذاً من قول العرب : ما قَرَأَتْ الناقة سلاً قطّ، أى ما رمت بولد، أى ما أسقطت ولداً ، أى ما حملت قط، والقرآن يلفظه القارئ من فيه، ويلقيه فَسُمِّىَ قرآناً .

(ب) القرآن مشتق غير مهموز :

(١) قال الأشعرى : هو مشتق من قرنت الشىء بالشىء ، إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، وسُمِّى به لقران السور والآيات والحروف فيه .

(٢) قال الفراء : هو مشتق من القرائن ، لأن الآيات فيه يصدّق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً ، وهى قرائن .

وعلى القولين السابقين فهو بلا همز ، ونونه أصلية .

اختيار الإمام السيوطى :

قال السيوطى بعد سرد هذه الأقوال : (والمختار عندى فى هذه المسألة ما نصَّ عليه الشافعى) أ.هـ .أى : أنه اختار القول بعدم الاشتقاق والهمز، وهو القول الأول [١].

المناقشة والترجيح :

أما القول الأول المنسوب إلى الشافعى . رحمه الله . ، والذى رجحه السيوطى . رحمه الله . فإن صح عن الشافعى ، فلعله قاس ذلك على أسماء الله تعالى ، إذ إن الأصل فيها التوقف لا الاشتقاق، ذكر ذلك الشيخ ابن عثيمين . رحمه الله . عند ذكر القاعدة الخامسة من قواعد الأسماء والصفات، فقال: «أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها » :

(ثلاثة قروء) أحدهما لا مجموعهما ، إلا أنهم اختلفوا فى الأحد المراد منهما فيهما." انظر : الصنعانى – سبل السلام – تحقيق : الصبابطى – دار الحديث – ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م – (٣ / ٢٩٩) .

(١) السيوطى . الإتقان فى علوم القرآن . دار مصر للطباعة . د.ت . ص (٧٠) بتصرف فى ترتيب الأدلة على النحو السابق .

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف فى ذلك على النص لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الإسراء /٣٦) [١] ، ولعل الأقرب إلى الصواب ـ والله أعلم ـ القول الثانى ، سواء أقال بالهمز أم عدمه ، وذلك للأسباب التالية :

(١) لا يوجد ثمة حرج شرعى ، أو خطأ لغوى إن قلنا باشتقاق الكلمة .

(٢) أن الكلمة أو اللفظة إذا كانت أوّالة حمّالة لأوجه متعددة كان هذا إثراءً للمعانى والإيحاءات، بخلاف اللغات الأخرى، التى تحتاج للمعنى القليل سردًا كثيرًا، وهذا لفقر دلالاتها ومعانيها ، قال العلاّمة ابن خلدون ـ رحمه الله ـ :

« وكانت الملكة الحاصلة للعرب على ذلك أحسنّ الملكات، وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعانى، مثل الحركات التى تعيّن الفاعل من المفعول من المجرور أعنى المضاف ، ومثل الحروف التى تفضى بالأفعال إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى، وليس يوجد ذلك إلا فى لغة العرب، وأما غيرها من اللغات، فكل معنى أوحال لابد له من ألفاظ تخصه بالدلالة [٢].

(٣) المعانى الكثيرة التى ذكرها العلماء لكلمة (القرآن) ، تدل بقوة على اشتقاقها، إذ لو كان الأمر على خلاف ذلك، لثبت لها معنى واحد، بيد أنهم ذكروا أن من معانيها ما يلى :

- الجمع من (القَرْء)
- المقروء من تسمية المفعول بالمصدر
- إظهاره وتبيينه من الفم من قولهم : ما قرأت الناقة سلاً
- الضم من قرنت الشىء بالشىء .
- القرائن من تصديق ومشابهة الآيات بعضها بعضاً .

---

(١) الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ـ القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى ـ تحقيق وتخريج الأحاديث : أشرف بن عبد المقصود ـ مكتبة السنة ـ القاهرة ـ ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠ م ـ ص (١٦) .

(٢) ابن خلدون ـ مقدمة ابن خلدون ـ دار الشعب مصر ـ د ـ ت ـ ص (٥١٤) .

مما يقوى ما ذهبنا إليه من القول بالاشتقاق، وأنها من الألفاظ المتواطئة التى تدل على معانٍ أو ذوات مختلفة بينها قدر من الاشتراك فى الأذهان [1]، وهذا واضح لمن يتتبع المعانى السابقة .

(٤) آيات عديدة وردت تؤيد هذه المعانى المشتقة، من ذلك :

- **كونه (قرآن) ، لأنه جامعٌ للكتب السابقة ، وجامع لثمرة جميع العلوم .**

- قول الله جلّ وعلا : ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾

وقوله تعالى : ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾

وقوله تعالى : ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ (فصلت/٣)

- **كونه (قرآن) ، لأنه يقرأ**

قول الله جل وعلا : ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾

وقوله تعالى : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾

وقوله تعالى : ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ أى : قراءته

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾(القيامة /١٧.١٨)

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : « ثم قال تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أى فى صدرك و«قرآنه» أى : أن تقرأه ، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أى: إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى

---

(١) الألفاظ فى اللغة العربية أربعة أنواع :

(أ) الألفاظ المترادفة : وهى ألفاظ مختلفة لمعنى واحد ، كأسد ، وليث ، وقسورة .

(ب) الألفاظ المتباينة : وهى الألفاظ المختلفة لمعانٍ مختلفة ، كالأرض وسماء .

(ج) الألفاظ المتواطئة : وهى ألفاظ تدل على معانٍ أو ذوات مختلفة بينها قدر من الاشتراك فى الأذهان لا فى الخارج ، كزرقة السماء ، وزرقة الثوب ، وزرقة العين ، فإذا قال إنسان : «زرقة» أو «أزرق» فَهِمَ السامع معنىً معيناً ، لوجود قدر من الاشتراك فى الذهن، ولكن كيفية كل ذات أو معنى فى الخارج تختلف عن الأخرى .

(د) الألفاظ المشتركة : هى الألفاظ التى تدل على معانٍ مختلفة ليس بينها أى قدر من الاشتراك لا فى الذهن، ولا فى الخارج، إلا التشابه فى اللفظ، كلفظ (عين) تدل على الجاسوس، وعلى عين الإنسان ، وعين الماء ، وعلى الذهب .

﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ أى : فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك [1].

القرآن شرعاً : هو كلام الله تعالى المنزل على رسوله وخاتم أنبيائه محمد ﷺ المبدوء بفاتحة الكتاب، المختوم بسورة الناس، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الإنسان /٢٣)، وقال : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (يوسف/٢) .

قال العلاّمة ابن خلدون – رحمه الله – : القرآن هو كلام الله المنزل على نبينا المكتوب بين دفتى المصحف، وهو متواتر بين الأمة، إلا أن الصحابة رووه عن رسول الله ﷺ على طرق مختلفة فى بعض ألفاظه، وكيفيات الحروف، وتُنُوقِل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضا بأدائها، واختصت بالانتساب إلى من أشتهر بروايتها من الجم الغفير، فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة [2].

وهذا المعنى أجمع عليه علماء المسلمين المعتبرين ، ولم يشذ إلا الرافضة، حيث ادعوا أن القرآن فيه نقص، وأنه حُذِف منه أشياء، وما ذلك إلا ليدسوا فيه كذبهم وافتراءاتهم .

قال ابن حزم فى « الفصل » (٢ / ٨٠) :

« يرى الشيعة أن القرآن الكامل المحفوظ من أى تبديل هو عند أمير المؤمنين على ، ثم أورثه الأئمة من بعده، وهو اليوم عند مهديهم المنتظر » .

فقرنوا بين مصحفهم وإمامهم ، وكلاهما غائب ، وضال لا حقيقة له ! [3].

ثانياً : أنواع القصص فى القرآن ، وتكراره ، وحكمته ، والعبرة منه .

---

(١) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . دار مصر للطباعة . الفجالة . د.ت . (٤ / ٤٤٩) .

(٢) ابن خلدون . مقدمة ابن خلدون . ص (٤٠٢) .

(٣) سامح عباس الغنيمى . عقائد الشيعة الإمامية الاثنى عشرية . دار قمر الدولة . د.ت . ص (١٦٨) .

أنواع القصص فى القرآن الكريم :

(أ) من حيث التكرار وعدمه **(ب) من حيث الموضوعية**

المتتبع لقصص القرآن يجد أنه متعدد ، ومتنوع ، لذا يحسن بنا عند التكلم عن أنواع القصص فى القرآن أن نميّز بين القصة من حيث تكرار القصص، وموضوع القصص، وتحت كل نوع من هذين النوعين أقسام وفوائد ، نوردها فيما يلى :

أ) من حيث التكرار وعدمه:

(١) ما لا يأتى إلا مرة واحدة مثل : قصة لقمان . أصحاب الكهف . والخضر

(٢) ما يأتى مكرراً حسب ما تدعو إليه الحاجة كقصة موسى وهارون – عليهما السلام –

إن مسألة تكرار القصص فى القرآن الكريم تأتى على ضربين كما سبق، منها ما لا يتكرر بل يذكر مرة واحدة ، كقصة لقمان ، وأصحاب الكهف ، وقصة الخضر مع موسى عليهما السلام ، ومنها ما يتكرر حسب ما تدعو إليه الحاجة، وتقتضيه المصلحة، فهو ليس تكراراً لا فائدة منه ، ولهذا كان أكثر القصص تكراراً قصة موسى . عليه السلام . ، لأن الحاجة دعت إلى ذلك ، قال السيوطى : قال بعضهم : ذكر الله موسى فى مائة وعشرين موضعاً من كتابه، وقال ابن العربى فى القواصم : ذكر الله قصة نوح فى خمس وعشرين آية ، وقصة موسى فى تسعين آية [١] فاليهود كانوا موجودين فى المدينة ، وقريبين من قريش ، وكذلك النصارى فى نجران وغيرها ، ومع هذا فإن التكرار لا يكون على وجه واحد، بل يختلف فى الطول والقصر، واللين والشدة، وذكر بعض جوانب القصة فى موضع دون الآخر، فمثلاً: نجد أقصر القصص، وأشدَّها ما جاء فى سورة القمر : فإن القصص قصير جداً، لكن فيها قوارع عظيمة تختم كل واحدة بقوله : ﴿ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر/١٥) ، وهذا شأن القصص المكىّ .

---

(١) السيوطى . الإتقان . ص (٣٩٤)

مثال آخر : هذا المثال أردت أن أبين به أن التكرار يأتى ليبين جوانب القصة فى موضع دون الآخر، فتارة نجد أن الله ـ جل وعلا ـ يذكر قصة نشأة ، موسى وولادته وما فيها من عبر، وتارة يبرز لنا الإيمان إذا خالطت بشاشته ظلمة القلوب وكيف أنها تحيلها إلى نور وضياء ، يظهر ذلك فى قصة سحرة فرعون مع فرعون ، فبعد أن ذهبوا إلى فرعون منقادين مذعنين ، تعلوهم غبرة الحاجة، وقترة الذل لفرعون، وقالوا : ﴿ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الشعراء /٤٤) ، إذا بهم بعد أن رأوا الحق ، وذاقوا حلاوة الإيمان، يصارحون فرعون اللئيم بما يسوءه ويحذره، فقالوا : ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (طه /٧٢) ، وهكذا نجد أن التكرار تكرار موجه لخدمة القضية التى يعالجها النص القرآنى ، وليس تكراراً مفرغاً من توظيف ومضمون .

فائدة التكرار القصصى :

درسنا فى المبحث السابق أنواع القصص القرآنى ، وذكرنا أنها من حيث التكرار والموضوع نوعان، وهذا المبحث نعرض فيه بعض فوائد التكرار القصصى فى القرآن الكريم، قال السيوطى ـ رحمه الله ـ : وقد قيل إن الكلام إذا تكرر تقرر ، وقد نبّه تعالى على السبب الذى لأجله كرّر الأقاصيص ، والإنذار فى القرآن بقوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (طه / ١١٣) [1] ، وإليك بعضاً من هذه الفوائد :

(١) بيان أهمية تلك القصة لأن تكرارها يدل على العناية بها :

ولذلك يكررها الله –عز وجل– اعتناءً بها، وتثبيتاً وترسيخاً للقلوب التى فى الصدور

(٢) مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها ، ولهذا تجد الإيجاز والشدة غالبا فيما أتى من القصص فى السور المكية ، والعكس فيما أتى فى السور المدنية ، وهذا من بلاغة القرآن ، مراعاة حال المخاطبين واحترام عقولهم وتوجهاتهم.

(٣) بيان بلاغة القرآن الكريم فى ظهور هذه القصص على هذا الوجه وذاك الوجه على ما تقتضيه الحال ، لأن مطابقة الكلام لمقتضى الحال هو البلاغة .

---

(١) السيوطى ـ الإتقان ـ ص (٣٩١) .

(٤) ظهور صدق القرآن، وأنه من عند الله ، حيث تأتى هذه القصص متنوعة دون تناقض، وهذا إن دلّ فإنما يدل على صدق القرآن الكريم، وعلى صدق النبي – صلى الله عليه وسلم – ، لأنه معلوم أن الكاذب يحاول جاهداً أن يجعل كلامه الثانى كالأول، حتى لا يتهم بالكذب، وغالب الكذابين إذا أرادوا أن يقصوا قصصاً، تجده متغايراً متناقضاً، أما القرآن فيخلو من هذا ، لأنه كلام الله –جل وعلا– ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾.

(٥) توكيد هذه القصة لتثبت فى قلوب الناس . [١]

وذكر السيوطى ـ رحمه الله ـ أن البدر بن جُماعة ألف كتاباً سماه : « المقتنص فى فوائد تكرار القصص » ، وذكر فى تكرير القصص فوائد :

١) أن فى كل موضع زيادة شىء لم يذكر فى الذى قبله ، أو إبدال كلمة بأخرى لنكتة ، وهذه عادة البلغاء .

٢) أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ، ثم يعود إلى أهله ، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون ما نزل بعد صدور مَنْ تقدّمهم، فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم آخرين ، وكذا سائر القصص .

٣) ومنها أن فى إبراز الكلام الواحد فى فنون كثيرة وأساليب مختلفة مالا يخفى من الفصاحة .

٤) ومنها أن الدواعى لا تتوفر على نقلها كتوفّرها على نقل الأحكام، فلهذا كُرِّرت القصص دون الأحكام .

٥) ومنها أنه تعالى أنزل القرآن ، وعجز القوم عن الإتيان بمثله ، بأىّ نظم جاءوا، ثم أوضح الأمر عجزهم، بأن كرّر ذكر القصة فى مواضع، إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله، أى : بأىّ نظم جاءوا، وبأىّ عبارة عبّروا .

٦) ومنها أنه تحّداهم فقال : ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة/٢٣] ، فلو ذكرت القصة فى موضع واحد، واكتُفِىَ بها لقال العربىّ : ايتونا أنتم بسورة من مثله ، فأنزل لها سبحانه وتعالى فى تعداد السور دفعاً لحجّتهم من كل وجه .

---

(١) الشيخ ابن عثيمين ـ شرح أصول التفسير ـ (١٥١ ـ ١٥٢).

٧)ومنها أن القصة لما كرّرت كان فى ألفاظها فى كل موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى، فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب فى إخراج المعنى الواحد فى صور متباينة فى النظم [١].

ذكر من أنكر التكرار فى القصص القرآنى :

يرى الدكتور محمد مطنى أنه لا تكرار فى القصص القرآنى يشابه التكرار فى القصة التاريخية، ولكنه لم ينكر بالكلية، فقال : إن اعتقادنا أنه لا يوجد تكرار فى القصص القرآنى بمعنى المشابهة للتكرار فى القصة التاريخية أو الأدبية ، لأن القرآن الكريم كتاب دعوة، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، والقصة تتكون من الحدث والشخصية، ففى القصص التاريخية نلاحظ التركيز على الشخصية، فحينما تقرأ أى قصة تجد أنها تركز على شخصية أو مجموعة أشخاص من أول القصة إلى خاتمتها، أما فى القصص القرآنى، فنرى إعجازاً آخر يضاف إلى إعجازات القرآن الكثيرة، وهو الملائمة بين الحدث والشخصية، لذلك كان التكرار غير مقصود لذاته، بل جاء لإيراد معنى آخر فى سياق القصة نفسها [٢].

ويقول سيد قطب – رحمه الله – : قد يحسب أناس أن هناك تكراراً فى القصص القرآنى ، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها فى صور شتى ، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة أو حلقة تكررت فى صورة واحدة من ناحية القدر الذى يساق وطريقة الأداء فى السياق، وأنه حينما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه ينفى حقيقة التكرار [٣] .

الحكمة من عدم تكرير بعض القصص القرآنية :

أورد السيوطى . رحمه الله . هذا السؤال وأجاب عنه من عدة أوجه، فقال : وقد سُئِل : ما الحكمة فى عدم تكرير قصة يوسف وسوقها مساقاً واحداً فى موضع واحد دون غيرها من القصص ؟ وأجاب بوجوه :

أحدها : أن فيها تشبيب النسوة به ، وحال امرأة ونسوة افتتنوا بأبدع الناس جمالاً، فناسب عدم تكرارها لما فيه من الإغضاء والستر، وقد صحّح الحاكم فى مستدركه حديث النهى عن تعليم النساء سورة يوسف .

---

(١) انظر : السيوطى . الإتقان . (٣٩٤) .

(٢) انظر : د. محمد مطنى . سورة القصص . دراسة تحليلية . (٤٥).

(٣) انظر : سيد قطب . فى ظلال القرآن . (١ / ٦٤) .

ثانيا : أنها اختصت بحصول الفَرَجِ بعد الشدة ، بخلاف غيرها من القصص ، فإن مآلها إلى الوبال كقصة إبليس ، وقوم نوح ، وهود ، وصالح وغيرهم، فلما اختصت بذلك اتفقت الدواعى على نقلها لخروجها عن سمت القصص .

ثالثها : قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني : إنما كرر الله قصص الأنبياء ، وساق قصة يوسف مساقاً واحداً إشارةً إلى عجز العرب كأن النبي ﷺ قال لهم : إنه كان من تلقاء نفسى ، فافعلوا فى قصة يوسف ما فعلت فى سائر القصص .

قال السيوطى : وظهر لى جواب رابع : وهو أن سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة أن يقصَّ عليهم ، كما رواه الحاكم فى مستدركه، فنزلت مبسوطة تامة ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصة وترويح النفس بها والإحاطة بطرفيها .

وجواب خامس : وهو أقوى ما يجاب به ، أن قصص الأنبياء إنما كررت ؛ لأن المقصود بها أفادة إهلاك من كذّبوا رسلهم ، والحاجة داعية إلى ذلك لتكرير تكذيب الكفار لرسول الله – ﷺ – فكلما كذبوا أنزلت قصة منذرة بحلول العذاب، كما حل على المكذبين ولهذا قال تعالى فى آيات : ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال/٣٨]

﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ [الأنعام/٦] ، وقصة يوسف لم يقصد منها ذلك ، وبهذا أيضاً يحصل الجواب عن حكمة عدم تكرير قصة أصحاب الكهف ، وقصة ذى القرنين ، وقصة موسى مع الخضر ، وقصة الذبيح .

يقول السيوطى . رحمه الله . فإن قلت : قد تكررت قصة ولادة يحيى وولادة عيسى مرتين ، وليس من قبيل ما ذكرت .

(قلت): الأولى فى سورة (مريم) وهى مكية ، أنزلت خطاباً لأهل مكة .

والثانية : فى سورة آل عمران ، وهى مدنية أنزلت خطاباً لليهود ولنصارى نجران حين قدموا، ولهذا اتصل بها ذكر المحاجّة والمباهلة [1].

---

(١) السيوطى . الإتقان . ص (٣٩٤ . ٣٩٥) .

فوائد التكرار عند الباقلانى

وقد ذكر الإمام الباقلانى بعضاً من فوائد التكرار فى كتابه الانتصار للقرآن ، فقال :

١) فمنها أن الله سبحانه لما خاطب العرب بلسانها على وجه ما تستعملها فى خطابها ، وكانت تستجيز الإطالة والتكرار تارة إذا ظنوا ذلك أبلغ فى مرادها وأنجع ، وتقتصر على الاختصار أخرى فى مواطن الاختصار ، خاطبهم الله سبحانه على ما جرت عليه عادتهم ، ثم ساق الأمثلة .

٢) ووجه آخر فى حسن التكرار من الله – عز وجل – ، وهو أن فى ذلك مرة بعد مرة من التثبيت لرسوله عليه السلام ، والمؤمنين، والمواعظة والتخويف لهم ، والرغبة فى طاعة الله والانزجار عن معصيته عند تكرار الكلام، وإعادة القصص وضرب الأمثال ما ليس فى المرة الواحدة .

٣) أنزل الله المتكرر فى أوقات متغايرة ، وأسباب مختلفة ، فحسن منه تكرار القصة للزجر والموعظة ، كما يحسن ذلك من الخطيب إذا خطب وتكلم فى المحافل ويوم المجتمع، ودعا إلى حقن الدماء ونصرة الجار، وإنما يستثقل التكرار إذا كان فى موقف واحد وسبب واحد.

٤) ومن الفوائد فى تكرار القصة والقصص المتماثلة بالألفاظ المختلفة عن الوزن الواحد، أنه تعالى إنما كرر ذلك لئلا تقول قريش أو بعضها للنبي ﷺ : كيف تتحدانا أن نأتى بمثل هذا الكلام الذى حُكيت به قصة نوح وموسى وإبراهيم ، وليس له لفظ يُحكى به ويورده من البحر والوزن الذى أوردته إلا اللفظ الذى بدأت به وسعيت إليه، فإن أوردناه بعينه قلت : هذا نفس ما تلوته علىكم وتحديتكم بمثله، وإن طالبتنا بمحاولة لفظٍ غيره، فليس للقصة والمعنى الذى عبرت عنه بهذا الوزن من الكلام لفظ غير الذى أوردته وسبقتَ إليه، فكأنك تطالبنا بالمحال، وهذه شبهة كما ترى، فأراد الله تعالى حسم أطماع العرب فى التعلق بذلك فكرر القصة الواحدة والقصص المتماثلة بألفاظ مختلفة من بحر واحد ، وعلى وزن واحد ، هو وزن القرآن الخارج من جميع النظوم والأوزان ليعلمهم اقتدراه وعظم البلاغة ويعرفهم عجزهم عن ذلك .

ثم ساق رحمه الله الأدلة فى الرد على بعض الإشكالات .[١]

---

(١) انظر : الباقلانى . الانتصار للقرآن . (٢/٨٠٠ . ٨٠٨) باختصار .

(ب) أنواع القصص القرآنى من حيث الموضوع :

(١) قسم عن الأنبياء والرسل	(٢) قسم عن أفراد وطوائف جرى لهم ما فيه عبرةٌ لنا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم	(٣) قسم عن حوادث وأقوام فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم

(١) قسم عن الأنبياء والمرسلين . عليهم الصلاة والسلام . وما جرى لهم مع المؤمنين بهم والكافرين ، وفى هذا يقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (إبراهيم ٩) ، وفى هذا القصص عبرٌ عظيمة ، عبرٌ للمؤمنين ، وعبرٌ للمكذبين .

(٢) قسم عن أفراد وطوائف جرى لهم ما فيه عبرة ، فنقله الله تعالى عنهم، وكان هذا النوع قبل بعثة النبي ﷺ ، كقصة مريم ، وقصتها مبسوطة فى سورة مريم، وفيها عبر كثيرة، نذكر منها : قوله تعالى : ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ (مريم ٢٥) .

وكقصة لقمان مع ابنه وهو يعظه ، وهى قصة عظيمة فيها فوائد جمة ، قال تعالى :

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾

(لقمان . ١٦ : ١٩) ، وكذلك قصة الذى مرّ على قرية وهى خاوية على عروشها ، وقصة يأجوج ومأجوج وأصحاب الفيل ، وأصحاب الأخدود ، إلخ .

(٣) حوادث وأقوام فى عهد النبي ﷺ:

كقصة بدر ، وقصة أحد ، والأحزاب ، وكقصة زيد بن حارثة ومدحه والثناء عليه فى القرآن الكريم، قال تعالى :﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ (الأحزاب ٣٧) وفى مقابل ذلك قصة أبى لهب ، وهو عم الرسول ﷺ ، وذمه والقدح فيه، قال تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ

وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴿٣﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴿٥﴾ ﴾ **(سورة المسد) ، وبين هاتين القصتين مفارقة عجيبة ، عم الرسول ﷺ . فى النار ويذم ، ومولى النبي ﷺ فى الجنة ويثنى عليه ، وتحقيق ذلك أن هداية التوفيق بيدى الله -عز وجل- وفقط ، قال عز من قائل :** ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ **(القصص ٥٦)** .

الحِكَم والعبر من القصص القرآني :

للقصص فى القرآن الكريم حكمٌ كثيرة عظيمة منها :

١) بيان حكمة الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص، **فالله -جلّ وعلا- لا يفعل فعلاً ولا يقدر قدراً، ولا يقص قصصاً إلا وفيه حكمة، قال تعالى :** ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ ﴾ **[القمر /٤ - ٥] وقوله تعالى :** ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ **[يوسف /١١١]** .

٢) بيان عدله تعالى بعقوبة المكذبين ، **لقوله تعالى :** ﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ ﴾ **[هود /١٠١]** .

٣) بيان فضله تعالى بمثوبة المؤمنين، **لقوله تعالى :** ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ ﴾ **[القمر /٣٤ - ٣٥]** .

٤) تسلية النبي ﷺ عمّا أصابه من المكذبين له، **لقوله تعالى** ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾ **[فاطر /٢٥ - ٢٦] ولهذا تقول الخنساء :**

وما يبكون مثل أخي ولكن ✸ أسلّي النفسَ عنه بالتأسي. [1]

---

(1) **الخنساء . ديوان الخنساء . شرحه : ثعلب أبو العباس النحوى . تحقيق : د. أنور أبو سويلم . دار عمار للنشر . عمّان . ١٤٠٩ هـ . ١٩٨٨ م . بيت رقم (١١) . ص (٣٢٧) .**

وقد أشار الله عز وجل إلى هذا فى قوله : ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ **[الزخرف /٣٩] ، وهذا يدل على أن اشتراك الناس فى العذاب يخفف عليهم، لكن يوم القيامة فلا .**

٥) ترغيب المؤمنين فى الإيمان بالثبات عليه والازدياد منه : **وذلك إذا علموا نجاة المؤمنين السابقين، وانتصار من أمروا بالجهاد ، لقوله تعالى :** ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ **[الأنبياء / ٨٨]**

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ **[الروم / ٤٧]**

وقوله تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ **[هود / ١٢٠] .**

٦) تحذير الكافرين من الاستمرار فى كفرهم ، **لقوله تعالى :** ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ﴾ **[محمد /١٠] ، ولكن الكافرين دأبهم أنهم كالأنعام بل هم أضل، ولا يعتبرون، بلي يعتبر بهم غيرهم ، قال تعالى :** ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ **[النمل /٨٠ – ٨١]**

وقوله تعالى : ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ **[الأعراف /١٧٦] .**

٧) إثبات رسالة النبى ﷺ : **فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله -عز وجل- ، لقوله تعالى:** ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ **[هود / ٤٩]**

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ **[إبراهيم /٩]** (١).

٨) التحدى العظيم لأهل الكتاب :

---

(١) ابن عثيمين . شرح أصول التفسير (ص) : [١٤٦ . ١٤٧] بتصرف .

لأن أهل الكتاب كانوا فى ذلك العصر لهم معرفة بأخبار الأنبياء لاسيما أحبارهم ورهبانهم، فقطع القرآن حجتهم على المسلمين، قال تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ **[هود /٤٩] فكان حملة القرآن أحق بأن يوصفوا بالعلم الذى وصفت به أحبار اليهود ، فانقطعت صفة الأمية عن المسلمين فى نظر اليهود** [(١)].

٩) هناك فائدة أخرى يمكن أن يفيد منها التربويون، **من خلال دراسة المنهج التربوى فى القصص القرآنى .**

١٠) وكذلك يمكن الاستفادة من القصص القرآنى لأهل الاقتصاد **من خلال دراسة المعالجة الاقتصادية كما فى قصة سيدنا يوسف** عليه السلام **. مثلاً ، أو اقتصاد قارون الجامع بين العلم والكفر ، كاقتصاد العولمة مثلاً .**

١١) والقادة كذلك لا غنى لهم عن دراسة القصص القرآنى **من خلال إدارة بعض الأنبياء لشؤون الناس، إضافةً إلى مهمة النبوة، ولهم فى قصة سيدنا سليمان** عليه السلام **المثل الأعلى ، وكيف استطاع الرسول** ﷺ **فى زمن بسيط من أن يجعل كل جزيرة العرب تحت لوائه، قال تعالى :** ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ **[آل عمران/١٥٩] .**

١٢) ويتعلم الشباب **من قصة سيدنا يوسف** عليه السلام **العفاف وكيفية كبح الشهوات، وكذلك من حياء ابنة شعيب فى سورة القصص فى قوله تعالى :** ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ **[القصص/٢٥] .**

١٣) وفى القصص تسلية للمبتلين ، **فقد ابتلى سيدنا أيوب** عليه السلام **فى المال والأولاد، وصبر حتى عُوفى** [(٢)].

---

(١) ابن عاشور . التحرير والتنوير – (١/ ٦٥) .

(٢) انظر : د . مطنى . سورة القصص . دراسة تحليلية . ص (٤٩) .

ثالثاً : بيئة السورة

الجو الذى نزلت فيه سورة القصص :

من المهم أن نعرف الظرف والجو الذى نزلت فيه السورة الكريمة، لأن ذلك يفتح أمامنا الباب الواسع أمام معرفة أغراض السورة وأهدافها التى من أجلها نزلت، ومعلوم أن السورة مكية، وأن المسلمين وقتئذٍ قلة مستضعفون ، وقد لاقى رسول الله ﷺ وأصحابه – رضى الله عنهم – ألواناً وصنوفاً من العذاب، مات من مات تحت وطأة العذاب، وعُذِّب من عذب، وسلم من سلم ، فى حين نجد أن تَجَمُّع المال من ناحية أخرى فى يد أساطين المال من صناديد قريش ، والمسلمون لا يملكون سوى القلوب العامرة بالإيمان، يصارعون بها كل جبروت قريش، وفى الحقيقة ما أشبه الليلة بالبارحة، فحال المسلمين فى هذه المرحلة بالجملة أشبه بحال أصحاب موسى – عليه السلام – مع فرعون وقومه، ويمكن إجمال أوجه الشبه فى النقاط التالية :

(١) علو وبغى يقابله استضعاف وصبر :

فقريش بيدها مفاتيح القوة، والكفار هم عدد الناس وقتئذٍ ، وفى يدهم السلطة والجاه، والمسلمون على النقيض من ذلك، فمارست قريش على المسلمين كل أصناف البغى والعلو متمثلاً فى :

(الاستهزاء) ، قال تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ [الهمزة /١] وقال تعالى :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾

[المطففين / ٢٩ – ٣٣]

(التعذيب) : وهذا شمل المسلمين جميعهم بما فيهم النبي محمد ﷺ ، ولقد ضرب بلال وخباب وعّمار بن ياسر وأبوه وأمه – رضى الله عنهم – أروع الأمثلة فى الصبر وقوة الإيمان التى أغاظت صناديد قريش وقهرتهم .

(القتل) : ولم يقف الأمر عند التعذيب فقط ، بل امتدت الأيدى العابثة إلى قتل المستضعفين كأمثال ياسر وسمية زوجه – رضى الله عنهما –.

(الحصار الاقتصادى) : ولم يقف الأمر عند هذا فحسب، بل امتد بهم الحقد والغيظ إلى أنهم أرادوا أن يقتلوا المسلمين جميعاً بما فيهم أصحاب العائلات الكبيرة، وذوى الحسب والنسب، فلم

يجدوا أفضل من فرض الحصار عليهم ، وبالفعل فعلوا هذه المؤامرة الجائرة على المسلمين ، ودخل النبي - ﷺ - ومعهم الصحابة - رضى الله عنهم - ثلاث سنين فى شعب أبى طالب .

(طلب المهاجرين الفارين بدينهم) : بل ولم يكتفوا بهذا ، حتى تعدى بهم البغى والطغيان إلى أن أرسلوا رجالاً فى طلبهم من الحبشة ، ولكن الله - جل وعلا - ردّ كيدهم فى نحرهم ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وهم فى هذا كله ينتهجون نهج فرعون حذو النعل بالنعل .

(٢) التلازم بين فرعون مصر وفرعون الأمة (أبو جهل) :

فى هذه الظروف التى نزلت فيها هذه السورة الكريمة، نجد رجلاً عاتياً باغياً، لا يرقب فى مؤمن إلاً ولا ذمة، إنه أبو جهل عمرو بن هشام، الذى لُقِّب بفرعون هذه الأمة لعلوه، وبغيه بغير الحق، والمتأمل فى حال هذا الظالم وقتئذٍ يجد تلازماً وتوافقاً كبيراً بين سلوكه وسلوك فرعون فهذا الظالم كان يكنى قبل الإسلام بـ (أبو الحكم) إشارة إلى رجاحة عقله، فلما جاء الإسلام وعاند وكابر، كنّاه النبي ﷺ (بأبى جهل) بسبب صدّه عن الدين، وهذا لا يدل إلا على الجهل والسفه .

وكذلك نجد فرعون بالإضافة إلى علوه وفساده، يريد أن يصبغ نفسه بصبغة العاقل الراشد، فيقول لقومه فى سورة القصص :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص / ٣٨] وهو المعنى نفسه الذى صرح به فرعون فى مكان آخر ، فقال : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر / ٢٩] .

(٣) التلازم بين قارون وأساطين الأموال من قريش :

فالمال كان الدافع الرئيس الذى دفع قارون على الطغيان والبغى فى الأرض بغير الحق، وهو نفسه الذى قوى صناديد قريش، وقد سجل القرآن هذه الجزئية فى غير موضع، قال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ ﴾ [الهمزة / ١-٤] وقال تعالى عن الوليد بن المغيرة، وهو من هو فى الإجرام والصدِّ عن سبيل الله، وفى جمع المال : ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ ﴾ [المدثر / ١١-١٢] وقال تعالى : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا

تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [القلم / ٨-١٤] .

ومن ثمَّ فإننا نرى تلازماً وتشابهاً واضحاً بين الظروف التى أحاطت بالمسلمين، مع الظروف والجو الذى مر به نبى الله موسى- عليه السلام - مع قومه، حيث تجد فرعون وكفار قريش قد استضعفوا المؤمنين وساموهم سوء العذاب، واستخدموا فى ذلك كل ما أتيح لهم من أسباب، على رأسها المال والجاه ، ولكن الله - عزوجل- غالب على أمره ، لذلك جاءت البشرى للمسلمين بالتمكين فى الأرض والغلبة على أعدائهم، وهم فى مكة لا يزالون تحت وطأة العذاب والقهر، وهى الظروف نفسها التى بُشِّر فيها بنو إسرائيل، وجاءت قصة موسى - عليه السلام - ، لتشحذ همم الصحابة، ولتؤكد لهم أن وعد الله حق، وأن نصر الله قريب، فالخلاصة أن قصة موسى -عليه السلام- جمعت بين التسلية والتوكيد بوعد الله الحق.

التعريف بالسورة

١) مكيتها

سورة القصص (مكية) :

قال الحافظ جلال الدين السيوطى - رحمه الله - فى الإتقان : « القصص : استثنى منها « الذين آتيناهم الكتاب » إلى قوله : « الجاهلين » [آية / ٥٢ - ٥٥] فقد أخرج الطبرانى عن ابن عباس أنها نزلت هى وآخر الحديد فى أصحاب النجاشى الذين قدموا وشهدوا وقعة أحد [١]، وقوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [آية / ٨٥] الآية ، لما سيأتى[٢] ثم ذكر فى موضع آخر أنها نزلت بالجُحْفة فى سفر الهجرة، كما أخرجه ابن أبى حاتم عن الضحاك [٣].

٢) عدد آياتها :

عدد آياتها ثمانٍ وثمانون آيةً .

سور القصص من المئين :

ذكر السيوطى- رحمه الله- أن القرآن الكريم يقسم إلى أربعة أقسام من حيث الطول والقصر .

---

(١) أى أنها نزلت بالمدينة ، لأن غزوة أحد سنة ٣ هجرية .

(٢) السيوطى . الإتقان . ص (٢٢) .

(٣) نفسه - ص (٢٨) .

الأول : السبع الطوال : أولها البقرة وآخرها براءة ، وذكر أقوالاً أخرى .

الثانى : المئون : وهى ما وليها ، سميت بذلك ، لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها، وعلى هذا التقدير ، فالقصص تقارب المائة، فالعلم عند الله .

الثالث : المثانى :

المثانى : ما ولى المئين، لأنها ثنتّها ، أى كانت بعدها، فهى لها ثوانٍ والمئون لها أوائل، وقال الفراء : هى السورة التى آيها أقل من مائة، لأنها تُثَنَّى أكثر مما يُثَنَّى الطُّوَلُ والمئون، وقيل : لتثنيته الأمثال فيها بالعبر والخبر، حكاه النكزاوىّ [١].

الرابع : المفصَّل أو المحكَم :

وهو ما ولى المثانى من قصار السور، سمى بذلك لكثرة الفصول التى بين السور بالبسملة، وقيل لقلة المنسوخ منه، ولهذا يسمى بالمحكم أيضاً ، كما روى البخارى عن سعيد بن جبير، قال: إن الذى تدعونه المفصَّل هو المحكم [٢].

هذا وقد ذكر السيوطى – رحمه الله – فائدة للمفصل، وأنه على ثلاثة أقسام: طِوَالٌ، وأوساطٌ ، وقصارٌ، قال ابن معن : فطواله إلى (عمّ) ، وأوساطه منها إلى (الضحى) ، ومنها إلى آخر قصاره ، هذا أقرب ما قيل فيه [٣].

أ) سبب تسميتها :

_سبق القول إن الأصل فى مسألة تسمية سور القرآن الكريم هو (التوقيف) ، وهو الراجح . والله أعلم . بيد أن هذا لا يمنع من استنباط العلل التى قد تتسق وموضوع السورة ، وهذا ما يدفعنا بقوة إلى القول بأن هذا المبحث اجتهادى بالدرجة الأولى ، الخطأ فيه وارد قبل الصواب، والذى حملنى على هذا هو ما ذكرته آنفاً فى مبحث : (ضوابط ومعايير تسمية السورة القرآنية) ورجحت القول بالتوقيف فى تسميتها قياساً أيضا على توخى الصحابة . رضوان الله عليهم . التوقف وتتبع الآثار فى مسألتى ترتيب الآيات وترتيب السور و القراءة [٤] وذلك للاتفاق فى

---

(١) وعلى قول الفراء ، فالقصص تندرج فى قسم المثانى ، والله أعلم .

(٢) السيوطى . الإتقان . ص (٨٧) باختصار وتصرف .

(٣) نفسه . ص (٨٨) .

(٤) قال ابن هشام فى معرض كلامه عن الاستثناء التام غير الموجب : " لأن مرجع القراءة الرواية لا الرأى "

العلة الجامعة بينهما ، ألا وهى التعبد، قال السيوطى: و النصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفى لا شبهه فيه ، وأما الإجماع فنقله غير واحد، منهم الزركشى فى البرهان، وأبو جعفر بن الزبير فى مناسباته ، وعبارته : ترتيب الآيات فى سورها واقع بتوقيفه ـ ﷺ ـ وأمره من غير خلاف فى هذا بين المسلمين . انتهى ، وسيأتى من نصوص العلماء ما يدل عليه ، وأما النصوص فمنها حديث زيد السابق : (كنا عند النبى ﷺ ، نؤلف القرآن من الرقاع) ، ومنها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثانى ، وإلى براءة وهى من المئين ، فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر . بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتموها فى السبع الطُّول؟ فقال عثمان : كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السُّور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشىء دعا بعض مَنْ كان يكتب ، فيقول : « ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل فى المدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله ﷺ ـ ولم يبيّن لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنْتُ بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتها فى السبع الطُّوَل [1] ، إلى أن قال : ومنها ما أخرجه البخارى عن ابن الزبير ، قال : قلت لعثمان :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا ﴾ البقرة (٢٣٤) قد نسختها الآية الأخرى ، فلمَ تكتبها ، أو تدعها ؟ فقال : يا ابن أخى لا أغير شيئاً منه من مكانه [2] ، قال الباقلانى فى الانتصار للقرآن : (باب) : الكشف عن وجوب ترتيب آيات السور وأن ذلك إنما حصل بالنص والتوقيف دون الاجتهاد ، وأنه ليس لأحد أن يخلط آيات السور بغيرها ، ولا يضع مكان الآية غيرها مما قبلها أو بعدها[3] ، وأما مسألة التوقيف فى ترتيب السور فرجحه ولى الدين الملوى فى معرض كلامه عن مناسبة الآيات والسور ، ونقل السيوطى عنه قوله : قد وهم من قال : لا

---

(١) هذا الأثر ضعيف ، ضعفه الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى فى ضعيف أبى داود رقم (٧٨٦) ، وضعيف الترمذى (٣٠٨٦) ، لكن هذا لا يقدح فى أصالة التوقيف عند الصحابة – رضى الله عنهم – فى مسائل التعبد .

(٢) انظر : السيوطى ـ الإتقان ص (٤٣ ـ ٤٤)

(٣) انظر : الباقلانى ـ الانتصار للقرآن ـ تحقيق : د . محمد عصام القضاة ـ دار الفتح ـ عمَّان ودار ابن حزم ـ بيروت ـ ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م ـ (١ / ٢٩٣)

يطلب للآى الكريمة مناسبة ، لأنها على حسب الوقائع المفرقة . وهو فى هذا يرد على الشيخ العز بن عبد السلام . وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً ، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً ، فالمصحف على وفق ما فى اللوح المحفوظ ، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف[١]

(قلت) : غير أننا لا نستطيع أن نجزم بالتوقيف فى ترتيب السور نظراً لوجود الاختلاف فى ترتيبها فى مصاحف الصحابة ، وهو ما قرره الباقلانى فى (الانتصار للقرآن) وأطال النفس فى الرد على الأقوال والإشكالات ، وانتصر إلى القول بعدم التوقيف ، وكان من أبرز استدلالاته أنا لا نعلم أحداً قال : إن ترتيب ذلك واجب كما فى الصلوات المفروضة وغيرها ، وفى تلقين القرآن ودرسه ، وأنه لا يحل لأحد أن يتلقن الكهف قبل البقرة [٢]

ولا مجال أمامنا للبحث عن علة التسمية قبل معرفة المعنى الجذرى للكلمة ، لذلك نبدأ بعرض المعنى لجذر الكلمة ، ثم نتتبع ورود هذه الكلمة فى كتاب الله تعالى .

قال الراغب الأصفهانى :

(قَصَصَ) : القصُّ تتبع الأثر ، يقال : قَصَصْتُ أثره، والقَصَصُ : الأثر ، قال تعالى : ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ (الكهف :٦٤) ، ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ (القصص :١١) ومنه قيل لما يبقى من الكلأ فَيُتَتَبَّع أثره قصيص .

و (القصص) : الأخبار المُتَتَبَّعَة ، قال تعالى : « لهو القصص الحق » . « فى قصصهم عبرة » . « وقصَّ عليه القصص » . « نقص عليك أحسن القصص » . « فلنقصّنَّ عليهم بعلم » . « يقصُّ على بنى إسرائيل » . « فاقصص القصص » [٣] .

والقصة لغة من (القصُّ) ، فعل القاصُّ إذا قصَّ القَصَصَ ، والقصة معروفة ، ويقال : فى رأسه قصة ، يعنى جملة من الكلام، ومنه قوله تعالى : « نحن نقص عليك أحسن القصص ، أى : بيّنا لك أحسن التبيان ، ويقال : قصصت الشىءَ : إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شىء ، ومنه

---

(١) انظر : السيوطى الإتقان . ص (٤٥٣ . ٤٥٤).

(٢) انظر : الباقلانى . المصدر السابق (١ / ٢٧٨ . ٢٩٢) باختصار .

(٣) الراغب الأصفهانى . المفردات فى غريب القرآن . مادة (قصص) . ص (٤٠٥).

قولـه تعـالى : ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ أى : اتبعـى أثـره ، وقـد يـأتى القـصُّ ، والقّصـص ، والقِصص : الصدر من كل شىء ، وقيل : هو وسطه [١] .

وجاء فى لسان العرب لابن منظور ، القصة : الخبر، وهو القصص، وقصَّ علىّ خبره : يقصّه قصّا وقصصاً، والقِصص : بكسر القاف جمع القِصّة التى تكتب ، وتَقَصَّصَ الخبر : تتبعه ، والقِصّة الأمر والحديث ، واقتصصت الحديث : رويته على وجه ، كأنه يتتبّع معانيها وألفاظها ويقال : خرج فلان قَصَصًا فى أثر فلان ، وقصًّا ، وذلك إذا اقتص أثره [٢] .

وقيل : إنه المصدر ، وقيل : إنه مفعول به ، وعلى القول الأول يكون المعنى « نحن نقصُّ عليك أحسن القصص » أى : نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص ، كما يقال : نحن نكلمك أحسن التكليم ، ونبين لك أحسن البيان ، وعلى القول الثانى ، يكون المعنى : نحن نقص عليك أحسن ما يقص ، أى : أحسن الأخبار المقصوصات كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ ﴾ ، أى : المراد خبرهم ونبأهم وحديثهم ، وليس المراد مجرد المصدر ، فالقولان متلازمان فى المعنى ، ولهذا يجوز أن تكون كلمة (القصص) قد جمعت بين معنى المصدر ، ومعنى المفعول به ، لأن فيه كلا المعنيين .[٣]

و(قصَّ) الشىءَ : تتبَّعَ أثره ، ومنه فى التنزيل العزيز : ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ ويقال : قَصَّ أثره : قصًّا وقصَصًا .

وخرج فلانٌ قصًّا فى إثر فلان .

و (قَصَّ) القِصّة : رواها ، ويقال : قصَّ عليه الرؤيا : أخبره بها ، وقَصَّ عليه خبره : أورده على وجهه، وفى التنزيل العزيز : ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾ [٤] .

آيات قرآنية ورد فيها مادة (قصّ) بمعنى الخبر أو الإخبار :

- قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٢ ﴾

---

(١) الزمخشرى . أساس البلاغة- تحقيق : محمد باسل . دار الكتب العلمية . بيروت . ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م . (٢ / ٨٢) .

(٢) ابن منظور . لسان العرب . دار صادر . بيروت . لبنان- ١٩٦٨ م . مادة (قَصَصَ) – (٧/ ٧٣ . ٧٥) .

(٣) انظر : أبو حيان – البحر المحيط – سورة يوسف (٦ / ٢٣٥) بتصرف .

(٤) المعجم الوسيط . مادة (قصَّ) .

(آل عمران ٦٢).

- **قال تعالى :** ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ (**النساء ١٦٤**) .
- **قال تعالى :** ﴿ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (**الأنعام ٥٧**)
- **قال تعالى :** ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ (**الأنعام ١٣٠**)
- **قال تعالى :** ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ (**الأعراف /٧**)
- **قال تعالى :** ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (**الأعراف / ٣٥**)
- **قال تعالى :** ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (**الأعراف ١٠١**)
- **قال تعالى :** ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (**الأعراف ١٧٦**)
- **قال تعالى :** ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (**هود ١٠٠**)
- **قال تعالى :** ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (**هود ١٢٠**)
- **قال تعالى :** ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (**يوسف ٣**)

- **قال تعالى :** ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ ﴾ **(يوسف ٥)**
- **قال تعالى :** ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١ ﴾ **(يوسف ١١١)**
- **قال تعالى :** ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٨ ﴾ **(النحل ١١٨)**
- **قال تعالى :** ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ ﴾ **(الكهف ١٣)**
- **قال تعالى :** ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ٩٩ ﴾ **(طه ٩٩)**
- **قال تعالى :** ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦ ﴾ **(النمل ٧٦)**
- **قال تعالى :** ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥ ﴾ **(القصص ٢٥)**
- **قال تعالى :** ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٧٨ ﴾ **(غافر ٧٨)**

آيات قرآنية وردت فيها مادة (قصّ) بمعنى التتبع :

- **قال تعالى :** ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤ ﴾ **(الكهف ٦٤)**
- **قال تعالى :** ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١١ ﴾ **(القصص ١١)**

النتيجة : نستطيع أن نستنتج مما سبق أن للقصص ثلاثة معانٍ :

الأول : التتبع للأثر ، وهذا علم من آية (الكهف /٦٤) ، وآية (القصص /١١).

الثاني : الرواية للخبر والقصة نفسها ، وهذا معلوم من باقى الآيات السابقة .

الثالث : القصص العظيم الشامل ، وذلك لأن « ألـ » قد تأتى للاستغراق ، فيكون المعنى القصص الذى استغرق قواعد وفنون القصص .

قال ابن هشام – رحمه الله – : « وتنقسم « ألـ » المعرِّفة إلى ثلاثة أقسام ، وذلك أنها إما لتعريف العهد، أو لتعريف الجنس ، أو للاستغراق ... وأما التى للاستغراق فعلى قسمين ، لأن الاستغراق إما أن يكون باعتبار حقيقة الأفراد أو باعتبار صفات الأفراد، فالأول نحو :

« وخلق الإنسان ضعيفاً » أى كل واحد من جنس الإنسان ضعيف ، والثانى نحو قولك :

« أنت الرجل » أى الجامع لصفات الرجال المحمودة » [١]

« قلت » : ولا مشاحة أن يكون المعنى شاملاً للثلاثة السابقة ، فالقصص : هو الرواية للقصة ، وهو القصص العظيم الشمولى ، الذى يتتبع الآثار الحسية والمعنوية لأطراف الرواية وشخوصها .

فى ضوء ما سبق فقد يكون سبب تسمية سورة القصص واحداً مما يلى :

١) ما أشرت إليه من اشتمالها على المعانى اللغوية السابقة . (التتبع للأثر . الرواية للخبر . القصص العظيم) .

٢) وقد يكون لاشتمالها على كلمة القصص فى قوله تعالى : ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ ، فهى قصص موسى – عليه السلام – وهو فى مصر مع المصريين ، وليس قصصه مع فرعون وقومه فحسب، ولعل هذا القصص الخاص هنا هو الوجه فى تسمية السورة باسم « القصص »[٢]

---

(١) ابن هشام الأنصارى . شرح قطر الندى وبل الصدى . تحقيق : ح . الفاخورى بموازرة الدكتور وفاء . دار الجيل . بيروت . د.ت (١٠٨ . ١٠٩) .

(٢) محمود شلتوت . إلى القرآن الكريم . دار الهلال . د.ت . ص (١١١) .

٣) وقد يكون بدلالة قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الدال على نجاة من هرب من مكان الأعداء إلى مكان الأنبياء ، اعتباراً بقصصهم الدالة على نجاة الهاربين ، وهلاك الباقين بمكان الأعداء [١] .

قلت :

والأصل فى هذا كله التوقيف ، بيد أن المتتبع لكثير من سور الكتاب العزيز يجد أن سبب التسمية بدلالة لفظة عامة، قد تكون مكررة أو غريبة . أى طريفة . ثم تخصص بالتسمية ، وهذا واضح فى سورة القصص ، والله أعلم .

ب) ترتيب السورة بين سور القرآن الكريم ، وأسباب نزول بعض آيها :

- ترتيبها

ترتيب سورة القصص فى المصحف هو الثامن والعشرون، ويأتى قبلها سورة النمل، وبعدها سورة العنكبوت، وثلاثتهم مكية .

قال البيهقى فى دلائل النبوة: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو محمد بن زياد العدل، حدثنا محمد بن إسحاق، حدّثنا يعقوب بن إبراهيم الدَّورقِىّ، حدثنا أحمد بن نصر بن مالك الخُزاعى ، حدثنا على بن الحسين بن واقد، عن أبيه ، حدثنى يزيد النحوى ، عن عكرمة والحسن بن أبى الحسن قالا: أنزل الله من القرآن بمكة : " اقرأ باسم ربك ... " وذكر النمل والقصص والعنكبوت [٢].

---

(١) محمد جمال الدين القاسمى . محاسن التأويل المسمى (تفسير القاسمى) . تصحيح وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقى . عيسى البابى الحلبى – ١٩٩٥م . (١٣ / ٦٩٥) .

(٢) السيوطى . الإتقان . ص (١٣) . والحديث رواه البيهقى – دلائل النبوة – باب : ذكر السور التى نزلت بمكة والتى نزلت بالمدينة – (٧ / ١٤٢) .

- أسباب نزول بعض آيها :

الآيـة رقـم (٥١) قولـه تعـالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [القصص/ ٥١-٥٢]

قال السيوطى ـ رحمه الله ـ أخرج الطبرانى وابن جرير عن رفاعة القُرظى ، قال: نزلت ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ ﴾ فى عشرة أنا أحدهم .

وأخرج ابن جرير عن على بن رفاعة قال : خرج عشرة رهط من أهل الكتاب، منهم رفاعة ـ يعنى أباه ـ إلى النبي ﷺ فآمنوا فأوذوا ، فنزلت : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الآية .

وأخرج عن قتادة ، قال : كنا نحدّث أنها نزلت فى أناسٍ من أهل الكتاب كانوا على الحق، حتى بعث الله محمداً ﷺ فآمنوا، فمنهم عثمان وعبد الله بن سلام [١].

قال محدث الديار اليمنية الشيخ مقبل بن هادى الوادعى ـ رحمه الله تعالى ـ :

قوله تعالى :﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [القصص /٥١] قال ابن جرير (٨٨/٢٠) : حدثنى بشر بن آدم ، قال : حدثنى عفان بن مسلم، قال حدثنى حماد بن سلمة قال : حدثنا عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعرة ، قال : نزلت هذه الآية فى عشرة أنا أحدهم : ﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[القصص ٥١].

الحديث : أخرجه الطبرانى (٤٦/٥ ، ٤٧) ، وقال الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (٧ / ٨٨) : رواه الطبرانى بإسنادين أحدهما متصل ، رجاله ثقات ، وهو هذا ، والآخر منقطع الإسناد [٢].

الآيـة رقـم (٥٦) قولـه تعـالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص /٥٦]

---

(١) السيوطى ـ لباب النقول فى أسباب النزول ـ سورة القصص ـ ص ـ (١٥٠) .والحديث رواه الطبرانى – المعجم الكبير – حديث (٤٥٦٣) – ص (٥ / ٥٣) – وأخرجه ابن حجر – فتح البارى – (قوله : باب تعليم الرجل أَمَتَه وأهله) – (١ / ١٩١) وهو حديث صحيح .

(٢) الشيخ مُقبل بن هادى الوادعى ـ الصحيح المسند من أسباب النزول ـ دار الحرمين ـ القاهرة ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م ـ سورة القصص ـ ص (٢١٤) .

قال الإمام مسلم ـ رحمه الله تعالى ـ فى صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب : ما نزل فى شأن أبى طالب : « حدثنا : محمد بن عبَّاد وابن أبى عمر قالا : حدثنا مروان عن يزيد وهو ابن كيْسان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله – ﷺ – لعمه عند الموت : « قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » فأبى فأنزل الله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآية .

وقال : « حدثنا : محمد بن حاتم بن ميمون حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا يزيد بن كيسان عن أبى حازم الأشجعى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – لعمه : « قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » قال : لولا أن تعيّرنى قريش يقولون : إنما حمله على ذلك الجزع ، لأقررْتُ بها عينَك ، فأنزل الله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (١).

قال الإمام النووى ـ رحمه الله تعالى ـ :

وأما قوله – عزوجل– : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص/ ٥٦] ، فقد أجمع المفسرون على أنها نزلت فى أبى طالب، وكذا نقل إجماعهم على هذا الزَّجاج وغيره، وهى عامة، فإنه لا يهدى ولا يضل إلا الله تعالى ، قال الفّراء وغيره : قوله تعالى : ﴿ مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ يكون على وجهين، أحدهما، معناه من أحببته لقرابته، والثانى : من أحببت أن يهتدى ، قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل وغيرهم :

﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (٢).

قال الإمام السيوطى ـ رحمه الله تعالى ـ :

أسباب نزول الآية : أخرج مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لعمه : « قل لا إله إلا الله ، أشهد لك بها يوم القيامة، قال : لولا أن تعيّرنى قريش، يقلن : إنه حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك » فأنزل الله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾

---

(١) النووى ـ شرح صحيح مسلم ـ دار الخير ـ (بيروت ـ دمشق) ـ ط ٥ : ـ ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م ـ إعداد مجموعة أساتذة مختصين بإشراف: على عبد الحميد أبو الخير ـ تقديم وتقريظ د. وهبة الزحيلى كتاب الإيمان (١/ ١٧٥ ـ ١٧٦) ـ حديث رقم (٢٥) .

(٢) السابق ـ كتاب الإيمان ـ (١/ ١٧٥) .

وأخرج النسائى وابن عساكر فى تاريخ دمشق بسند جيد عن أبى سعيد بن رافع قال : سألت ابن عمر عن هذه الآية : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ أفى أبى جهل وأبى طالب ؟ قال : نعم [1].

قال الإمام أبو الحسن النيسابورى . رحمه الله تعالى . :

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازى قال : أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد ابن خمرويه قال : أخبرنا على بن محمد الخزاعى قال : أخبرنا أبو اليمان الحكم بن رافع قال : أخبرنى شعيب عن الزهرى قال : أخبرنى سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبى أمية ، فقال رسول الله ﷺ :« يا عمِّ قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله سبحانه وتعالى » فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها ويعاودانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به : أنا على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ : « لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك» ، فأنزل الله

-عز وجل- : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة /١١٣]

الآية ، وأنزل فى أبى طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص/٥٦] [2] **رواه البخارى عن أبى اليمان ورواه مسلم عن حرملة عن ابن وهب عن يونس عن الزهرى** [3].

الآية رقم (٥٧) **قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾**

[القصص/٥٧] أخرج ابن جرير الطبرى عن طريق العوفى عن ابن عباس . رضى الله عنهما- أن قريشاً قالوا للنبى ﷺ . إن نتبعك تخطفنا الناس ، فنزلت ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾ الآية .

---

(١) السيوطى . لباب النقول فى أسباب النزول . سورة القصص . ص (١٥٠) .

(٢) رواه البخارى . كتاب المناقب . باب قصة أبى طالب برقم (٣٨٨٤) وأطرافه : [١٣٦٠ ، ٤٦٧٥ ، ٤٧٧٢] ، ومسلم فى كتاب الإيمان وقد سبق تخريجه .

(٣) النيسابورى . أسباب النزول . دار ابن الهيثم . ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م . سورة القصص ص (١٦٧)

وأخرج النسائى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن الحارث بن عامر بن نوفل ، هو الذى قال ذلك [١].

وذكر أيضاً أبو الحسن النيسابورى أن هذه الآية نزلت فى الحارث بن عثمان بن عبد مناف ، وذلك أنه قال للنبى- ﷺ - : إنا لنعلم أن الذى تقول حق ، ولكن يمنعنا من اتّباعك أن العرب تخطفنا من أرضنا لإجماعهم على خلافنا، ولا طاقة لنا بهم ، فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية [٢].

قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [القصص /٦١] .

قال السيوطى - رحمه الله - : أخرج ابن جرير الطبرى عن مجاهد فى قوله :

﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ ﴾ الآية، قال : نزلت فى النبي ﷺ ، وفى أبى جهل بن هشام .

وأخرج من وجه آخر عنه : أنها نزلت فى حمزة وأبى جهل [٣].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ بعد قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ قال مجاهد وقتادة : من المعذبين، ثم قيل : إنها نزلت فى رسول الله ﷺ وفى أبى جهل ، وقيل فى حمزة وعلى وأبى جهل، وكلاهما عن مجاهد، والظاهر أنها عامة ... [٤].

ونقل أبو الحسن النيسابورى عن السُّدِّى، أنها نزلت فى عمار والوليد بن المغيرة [٥] .

الآية رقم (٦٨) ، قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص/ ٦٨]

قال أبو الحسن النيسابورى - رحمه الله - : قال أهل التفسير : نزلت جواباً للوليد بن المغيرة حين قال : فيما أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختياره [٦].

---

(١) السيوطى ـ لباب النقول فى أسباب النزول ـ سورة القصص ـ ص (١٥٠) .

(٢) النيسابورى ـ أسباب النزول ـ سورة القصص ـ ص (١٦٧) .

(٣) السيوطى ـ المصدر السابق ـ سورة القصص ـ ص (١٥٠ ـ ١٥١) .

(٤) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم ـ سورة القصص (٣/ ٤١٠) .

(٥) النيسابورى ـ السابق ـ سورة القصص ـ ص (١٦٨) .

(٦) نفسه ـ ص (١٦٨) .

وأورد ذلك القرطبى – رحمه الله – فى تفسيره، فقال – رحمه الله – : قوله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ هذا متصل بذكر الشركاء الذين عبدوهم واختاروهم للشفاعة، أى : الاختيار إلى الله – تعالى– فى الشفعاء لا إلى المشركين .

وقيل : هو جواب الوليد بن المغيرة حين قال : ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف/ ٣١] يعنى : نفسه زعم ، وعروة بن مسعود الثقفى من الطائف .

وقيل : هو جواب اليهود إذ قالوا لو كان الرسول إلى محمد غير جبريل لأمنا به [١].

قوله تعالى فى الآية رقم (٨٥) : ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾

قال السيوطى – رحمه الله – :

أخرج ابن أبى حاتم عن الضحاك قال : لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة ، فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص /٨٥] [٢].

ولعل ما يؤيد ما أورده السيوطى عن ابن أبى حاتم ما رواه الإمام البخارى – رحمه الله– فى كتاب التفسير . باب : ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ ، فقال : – رحمه الله – : حدثنا محمد بن مقاتل ، أخبرنا يَعْلَى ، حدثنا سفيان العُصْفُرِىّ عن عكرمة عن ابن عباس ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قال : إلى مكة [٣].

قال ابن كثير – رحمه الله – ، بعد أن ذكر الأقوال التى تفسر(الردّ) بأنه إلى الجنة : وقد روى عن ابن عباس غير ذلك كما قال البخارى فى التفسير فى صحيحه ، حدثنا محمد بن مقاتل أنبأنا يعلى حدثنا سفيان العُصْفُرِى عن عكرمة عن ابن عباس ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أى : لرادك إلى مكة.

---

(١) القرطبى . الجامع لأحكام القرآن . تقديم : هانى الحاج . حققه وخرّج أحاديثه:عماد زكى البارودى وخيرى حسن . المكتبة التوفيقية . القاهرة . مصر . د. ت . (١٣/ ٢٤٣ . ٢٤٤) .

(٢) السيوطى . لباب النقول فى أسباب النزول . ص (١٥١) .

(٣) البخارى . صحيح البخارى . مكتبة الإيمان . المنصورة . مصر . ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٣م . كتاب التفسير . تفسير سورة القصص . باب : ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ حديث (٤٧٧٣) . ص (١٠٠٦) .

وهكذا رواه النسائى فى تفسير سننه ، وابن جرير الطبرى من حديث يعلى وهو ابن عبيد الطنافسى به ، وهكذا رواه العوفى عن ابن عباس [1].

(١) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . (٣ / ٤١٧) .

المبحث الثانى

(الوحدة الموضوعية والتناسب فى سورة القصص)

أولاً : الوحدة بين سورة القصص وسور القرآن الكريم .

أ) الوحدة فى صفات القرآن .

ب) الوحدة فى مقاصد القرآن .

ثانياً : الوحدة بين سورة القصص وبعض سور القرآن الكريم .

أ) بين سورة القصص وسورة يوسف .

- الموافقات
- المفارقات

ب) بين سورة القصص وسورة الشعراء (التفصيل والإجمال) .

ج) بين سورة القصص وسورة طه (التفصيل والإجمال) .

ثالثاً : الوحدة بين سورة القصص وما قبلها (النمل) وما بعدها (العنكبوت) .

أ) الوحدة بين أواخر النمل وأوائل القصص .

ب) الوحدة بين أواخر القصص وأوائل العنكبوت .

رابعاً : الوحدة بين مفتتح السورة وختامها .

بين يدى المبحث

يقول السيوطى . رحمه الله . فى معترك الأقران :

" الوجه الرابع من وجوه إعجازه " :

مناسبة آياته وسوره ، وارتباط بعضها ببعض ، حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعانى ، منتظمة المبانى ، وقد ألف علماؤنا فى أسرارها تآليف كثيرة ، منهم العلاّمة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبى حيان فى كتاب سماه " البرهان فى مناسبة ترتيب سور القرآن " ، ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعى فى كتاب سماه " نظم الدرر فى تناسب الآى والسور " ، وكتابى الذى صنفته فى أسرار التنزيل كافل بذلك ، جامع لمناسبات السور والآيات[1] .

أولاً : الوحدة بين سورة القصص وسور القرآن الكريم

(أ) الوحدة فى صفات القرآن الكريم **(ب) الوحدة فى مقاصد القرآن الكريم**

(أ) الوحدة فى صفات القرآن الكريم :

إن المستقرئ لآيات القرآن الكريم وسوره يعلم أن بينها قاسماً مشتركاً من الصفات الجليلة العظيمة، فمن ذلك :

الله – عز وجل – وصف القرآن . **بالجملة** . بأوصاف العظمة والبركة :

– قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ **[الحجر/ ٨٧]**

– قال تعالى : ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ ﴾ **[ق /١]**

– قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ **[الواقعة/ ٧٧-٧٩]**

القرآن الكريم كتاب شامل لكل خير، وهادٍ ومبشر :

– قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ **[النحل/٨٩]**

---

(١) انظر : السيوطى . معترك الأقران فى إعجاز القرآن . (١ / ٤٣)

- **قال تعالى :** ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ **[الإسراء /٩]**

القرآن الكريم كتاب مبارك في تأثيره وآثاره وأجره وثوابه :

- **قال تعالى :** ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ **[الحشر/٢١]**

- **قال تعالى :** ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ **[ص/٢٩]**

- **قال تعالى:** ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ **[الأنعام/١٥٥]**

- **قال تعالى :** ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ **[التوبة ١٢٤. ١٢٥]**

- **قال تعالى :** ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ **[الأنعام /١٩]**

قال تعالى : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ **[الفرقان /٥٢]**

القرآن الكريم حاكم على ما قبله من الكتب ومهيمناً عليه :

قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ **[المائدة /٤٨]**

القرآن الكريم فرقان بين الحق والباطل ، والنور والظلام :

قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ **[الفرقان /١]**

قال تعالى : ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ﴾ **[إبراهيم /١ . ٢]**

(ب) الوحدة في مقاصد القرآن الكريم :

سبق أن للقرآن الكريم بالجملة صفات مشتركة توجد فى جميع آياته وسوره، وكذلك توجد مقاصد رئيسة مشتركة بين آيه وسوره .

ذكر السيوطى ـ رحمه الله ـ فى كتابه الإتقان ـ فى النوع الثالث والسبعين (فى أفضل القرآن وفاضله) طرفاً من مقاصد القرآن الكريم ، وكيف أن سورة الفاتحة اشتملت على مقاصد القرآن كلها ، لذلك فهى أفضل سور القرآن ، وهى أم الكتاب .

فقال – رحمه الله – :

وقال ابن التين فى حديث البخارى : « لأعلمنَّك سورة هى أعظم السور » معناه أن ثوابها أعظم من غيرها، وقال غيره: إنما كانت أعظم السُّور،لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن، ولذلك سميت أم القرآن ...وبيان اشتمالها على علوم القرآن قرره الزمخشرى: باشتمالها على :

- الثناء على الله تعالى بما هو أهله .
- وعلى التعبد بالأمر والنهى وعلى الوعد والوعيد .

وقال الإمام فخر الدين : المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة : الإلهيات ـ المعاد ـ النبوات ـ إثبات القضاء والقدر لله تعالى ، فقوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يدل على الإلهيات .

وقوله تعالى : ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يدل على المعاد .

قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يدل على نفى الجبر ، وعلى إثبات أن الكلَّ بقضاء الله وقدره وقوله : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة يدل على إثبات قضاء الله وعلى النبوات ، فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة ، وهذه السورة مشتملة عليها سميت أم القرآن .....

وقال الطيّبى : هي مشتملة علي أربعة أنواع من العلوم التي هي مناط الدين :

أحدها على الأصول ، ومعاقده معرفة الله تعالى وصفاته ، وإليها الإشارة بقوله : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، ومعرفة النبوة ، وهي المرادة بقوله : ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ، ومعرفة المعاد ، وهو المُومَى إليه بقوله : ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾

وثانيها : علم الفروع ، وأُسُّه العبادات ، وهو المراد بقوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

وثالثها : علم ما يحصل به الكمال ، وهو علم الأخلاق ، وأَجَلُّه الوصول إلي الحضرة الصمدانية ، والالتجاء إلي جانب الفردانية والسلوك لطريقه و الاستقامة فيها ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾

ورابعها : علم القصص والأخبار عن الأمم السالفة والقرون الخالية ، و السعداء والأشقياء ، وما يتصل بها من وعد محسنهم ووعيد مسيئهم وهو المراد بقوله : ﴿ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

وقال أبو حامد الغزالي :

مقاصد القرآن ستة : ثلاثة مهمّة وثلاثة متمّة :

الأولى : تعريف المدعو إليه كما أشير إليه بصدرها

وتعريف الصراط المستقيم ، وقد صرّح به فيها

وتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالى وهو في الآخرة كما أشير إليه بـ ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾

والأخرى تعريف أحوال المطيعين ، كما أشير إليه بقوله : ﴿ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾

وحكاية أقوال الجاحدين ، وقد أشير إليها بـ ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾

وتعريف منازل الطريق ، كما أشير إليه بقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (١)

وذكر أيضا ـ رحمه الله ـ مقاصد القرآن الكريم في موضع آخر ، أثناء الحديث عن سورة الإخلاص ، وتوجيه كونها ثلث القرآن الكريم فقال ـ رحمه الله ـ :

" وقيل : لأن القرآن يشتمل على قصص وشرائع وصفات ، وسورة الإخلاص كلها صفات ، فكانت ثلثاً بهذا الاعتبار .

وقال الغزالي في الجواهر : معارف القرآن المهمة ثلاثة : معرفة التوحيد ، والصراط المستقيم ، والآخرة ، وهي مشتملة على الأول ، فكانت ثلثاً .....

وقال غيره : القرآن قسمان : خبر وإنشاء ، والخبر قسمان : خبر عن الخالق ، وخبر عن المخلوق ، فهذه ثلاثة أثلاث وسورة الإخلاص أخلصت الخبر عن الخالق ، فهي بهذا الاعتبار ثلث "(٢)

والذي يعنينا مما سبق من سرد أقوال العلماء ، أن القرآن الكريم في جملته تتحد فيه مقاصد عِدّة ، وهي المقاصد المشتملة على أصول الدين ، كالتوحيد ، والنبوة ، والإيمان بالبعث و العالم الغيبي كالملائكة والجنة والنار، ويقرر ويخدم هذه المقاصد في جميع سور القرآن الكريم

---

(١) السيوطي – الإتقان – ص (٥٢١ – ٥٢٢)

(٢) نفسه ص (٥٢٤)

التى تتنوع الأساليب فيها بين الإنشاء والخبر ، وذكر الوعد والوعيد ، وسرد القصص للاعتبار والتسلية ، والمتتبع لسور القرآن الكريم سيجد هذا واضحاً جلياً .

إسقاط هذه النتائج على سورة القصص :

الإلهيات : **نلاحظ مثلا ذكر توحيد الإلوهية والربوبية في قوله تعالى :** ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ **(القصص /٣٠)**

والأسماء والصفات ، نلاحظها مثلاً في قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ **(القصص /١٦)**

وقوله تعالى : ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ **(القصص /٦٥)**

وقوله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ **(القصص /٦٨) .**

النبوات :

نلاحظ ذكرها في قصة موسى عليه الصلاة والسلام طيلة السورة كقوله تعالى : ﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ **(القصص /٣)**

وفي ذكر هارون . عليه السلام . ، في قوله تعالى :

﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓ﴾ **(القصص /٣٤)**

وفي خطاب النبي محمد ﷺ في قوله تعالى :

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ **(القصص /٤٤)**

وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ **(القصص /٥٩)**

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ﴾ **(القصص /٨٥)**

وقوله تعالى : ﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ **(القصص /٨٦)**

المعاد واليوم الآخر والوعد و الوعيد :

قوله تعالى : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ **(القصص/٣٧)**

وقوله تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (**القصص/٤٠**)

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾ (**القصص ٤١-٤٢**)

وعن المؤمنين وثوابهم **يقول تعالى :** ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (**القصص ٥٢-٥٤**)

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ (**القصص/٦٧**)

القضاء والقدر :

كقوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ (**القصص/٥**)

وقوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ (**القصص/٦٨**)

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (**القصص/٧٠**)

القصص والأخبار :

فهو مجمل السورة من أولها إلى آخرها .

ثانياً : الوحدة بين سورة القصص وبعض سور القرآن الكريم :

(أ) بين سورة القصص وسورة يوسف (الموافقات والمفارقات)

(ب) بين سورة القصص وسورة الشعراء (تفصيل المجملات)

(ج) بين سورة القصص وسورة طه (إجمال ما فُصِّل)

(أ) بين سورة القصص وسورة يوسف (الموافقات و المفارقات)

الموافقات :

١) السورتان كلتاهما مكيّ

٢) لفظ القصص :

جاء هذا اللفظ اسماً لسورة القصص ، وورد هذا اللفظ في صدر سورة يوسف في قوله تعالى :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ **(يوسف /٣) ،**

وهو ما يحدو بنا إلى الالتفات نحو البحث عن مزيد من التشابه بين السورتين ، وهو ما سيتضح عند عرض باقي الموافقات والمفارقات .

٣) كلتا السورتين بدأتا بعد الحروف المقطعة ، **بقوله تعالى :** ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾

٤) الأحداث تدور حول شخصية محورية رئيسة :

وهذا يلاحظ في السورتين ، والذي يؤكد ذلك إضافة الشخصيات الثانوية إليهما ، وهاكَ بعض الأمثلة :

ففي سورة يوسف نجد قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ ﴾ **(يوسف/٤)**

وقوله تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ﴾ **(يوسف/٥)**

وقولـــه تعـــالى : ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ **(يوسف/٦)**

وقوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ **(يوسف/٧)**

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾ **(يوسف/٨)**

وقوله تعالى : ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا ﴾ **(يوسف /٢٣)**

وقوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ **(يوسف /٥٨)**

فنلاحظ أن الإضافة إمّا إلى ضميره ، وإمّا إلى اسمه ، وإمّا بذكر ضميره في صدر الصلة كما في آية المراودة .

وفي سورة القصص نجد قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ **(القصص /٧)**

وقوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ **(القصص /١٠)**

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ **(القصص/١١)**

وقوله تعالى : ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ ﴾ **(القصص/١٣)**

وقوله تعالى : ﴿ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ **(القصص/١٥)**

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ **(القصص/٣٥)**

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ **(القصص /٧٦)**

كما نلاحظ أن جميع أحداث القصتين مرتبطة بالشخصية الرئيسة من قريب أو من بعيد .

٥) كلتا السورتين تعرضت لحياة النبيين صغيرين ، ومحنتهما :

نلاحظ ذلك في صدر سورة القصص من قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ **(القصص/٧) وحتى الآية (٣)** ﴿ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾

وكذلك في سورة يوسف نجد ذلك في صدرها عند قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ **(يوسف /٤)**

وحتى قوله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ **(يوسف/٢٠) ثم بعد ذلك ننتقل لمرحلة أخرى وابتلاء آخر فى بيت العزيز .**

٦) إحاطة وشمول علم الله – تعالى – وقصور علم غيره :

كلتا السورتين تؤكدان سعة وإحاطة علم الله – جل وعلا –، وأن علم غير الله قاصر ضئيل ، حتى النبي محمد ﷺ ، ولذلك نبّه الله – جل وعلا – في كلتا السورتين أن النبي ﷺ لم يكن يعلم خبر هذين النبيين قبل إخبار الله – تعالى – له .

فنجد فى سورة يوسف قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ **[يوسف/٣] وقوله تعالى :** ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ **[يوسف/١٠٢]**

ونجد فى سورة القصص قوله تعالى : ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾ **[القصص/٣]**

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ **[القصص/٤٤]**

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ **[القصص/٤٦]**

٧) كلتا السورتين تَعْرِض للبشارة عن طريق الوحى :

فنجد فى سورة يوسف أن البشارة جاءت عن طريق الوحى بالرؤيا الصالحة ، وهى جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، قال رسول الله ﷺ : « إذا اقترب الزمان لم تكد تكذبُ رؤيا المؤمن، ورؤيا المؤمن جزءٌ من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » (١) **، ونجد تأكيد ذلك فى قول يوسف – عليه السلام – :** ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ **[يوسف/١٠٠]**

ونجد فى سورة القصص :

أن الله – جلّ وعلا – أوحى إلى أم موسى وحى إلهام ، بأن ترضعه، وتلقيه فى اليم إذا خافت عليه ، وبشرها فى الآية نفسها بأنه محفوظ لكونه من المرسلين ، فقال عز من قائل :

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ **[القصص/٧]** .

٨) كلا النبيين وقومهما من بنى إسرائيل .

٩) أحداث القصتين دَارَ معظمها بمصر .

---

(١) رواه البخارى . كتاب التعبير : باب القيد فى المنام . حديث (٧٠١٧) .

١٠) ذكر عفة كلا النبيين الكريمين عليهما السلام .

فى سورة يوسف قوله تعالى : ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ **[يوسف/٢٣]**

وفى قوله : ﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴾ **إلى قوله تعالى :** ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ **[يوسف/ ٢٦-٢٨]**

وقوله تعالى : ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ **[يوسف/٣١]**

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ **[يوسف/٥١]**

وفى سورة القصص فى قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ **[القصص/٢٦] وأوردت الأخبار الصحيحة أن المرأة كانت تقصد بالأمانة عفته، لما رأت منه فى الطريق وأنه أمرها أن تكون من خلفه، فإذا كان الطريق يمنة حذفت له بحصاة يميناً ، وإن كان يسرةً حذفت يساراً [1]، وهو ما حدا بأبيها أن يقول :**

﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ ﴾ **[القصص/٢٧]** .

١١) تفوق كلا النبيين فى شىء معين علاوة على الإيمان والتقوى :

ففى قصة يوسف : **نجد أن يوسف . عليه السلام . كان فائق الجمال، وهذا واضح من قول النسوة :** ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ **[يوسف/٣١]** وفى قصة موسى عليه السلام : **نجد أن موسى . عليه السلام . كان فائق القوة، دلّ على ذلك قوله تعالى :**﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ **[القصص/١٥] ، ومعلوم أن الوكز مهما كان شديداً لا يقتل، ووردت السُّنة أيضاً أنه رفع حجر البئر، وكان يرفعه عشرة رجال .**

١٢) ابتلاء كلا النبيين الكريمين فى جنس ما تفوقا فيه :

---

(١) انظر : ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . سورة القصص – (٣ / ٣٩٨) .

فيوسف ـ عليه السلام ـ راودته امرأة العزيز ، ثم نساء رجالات مصر الكبار وقتئذٍ حتى أدخلنه السجن ظلماً .

وموسى– عليه السلام – قتل الرجل خطأً منه ، وكان يريد أن يمنع شرَّه ولما تكرر هذا مرة أخرى ، وأراد أن يُحجِّز بين رجلين ، الإسرائيلى وقبطى ، فقال له القبطى : ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [القصص/١٩] فانكف موسى ـ عليه السلام ـ خوفاً من ربه جلا وعلا، وعلم عندئذٍ أن الخبر قد شاع، وأكد ذلك له الرجل الصالح حين قال له : ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص/٢٠]

١٣) كلتا السورتين ذكرت وفاء وإحسان النبيين الكريمين :

ففى سورة يوسف عند قوله تعالى : ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف/٢٣]

وذكرت السورة إحسانه لمن أساء إليه وذلك عندما قال لإخوته : ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف/٩٢]

وفى سورة القصص : نجد مروءة نبى الله موسى ـ عليه السلام ـ عندما رأى امرأتين ضعيفتين تذودان ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص/٢٤] .

ويتجلى وفاؤه أيضاً فى أدائه الأجل الأتم ، تبرعاً وفضلاً ، بعدما خُيّر بين أن يقضي ثمانى حجج لزاماً، أوعشراً اختياراً ، فقضى أطيبهما وأوفاهما كما وردت السنة من حديث ابن عباس – رضى الله عنهما – (١) قال تعالى :﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص/٢٨]

---

(١) ذكر ابن كثير فى تفسيره عن الإمام البخارى قال : حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال : سألنى يهودى من أهل الحيرة أى

١٤) كلا النبيين آتاه الله حكماً وعلماً :

ففي سورة يوسف : **قال تعالى** : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ **[يوسف/٢٢]**

وفي سورة القصص : **قال تعالى** : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ **[القصص/١٤]**

فنلاحظ أن الله – جل وعلا – منح النبيين الكريمين بعد بلوغ الأشد والاستواء مع موسى –عليه السلام – الحكم والعلم ، وذلك ليتحملا أعباء الابتلاء المتتالية عليهما، ولذلك جاء بعد ذكر هذه الآية بلاء يوسف – عليه السلام – ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ **[يوسف/٢٣] ، وبعد آية القصص بلاء موسى – عليه السلام –** ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ **الآية [القصص/١٥]**

١٥) تعرض كلا النبيين الكريمين للقتل :

ففي سورة يوسف : **قوله تعالى** : ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾ **[يوسف/ ٩.١٠]**

وفي سورة القصص : **قوله تعالى** : ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ **[القصص/٢٠]**

١٦) التشابه بين حال موسى – عليه السلام – لما أجَّرنفسه مع حال يوسف –عليه السلام – :

الأجلين قضى موسى؟ فقلت لا أدرى حتى أقدم على حبر العرب فاسأله، فقدمت على ابن عباس –رضى الله عنهما– فسألته، فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله ﷺ إذا قال فعل .

انظر : ابن كثير . التفسير . (٣ / ٣٩٩).

ولعل وجه الشبه يكمن فى أن كليهما صار محبوساً مرهوناً عند شخص معين ، لا يستطيع أحدٌ منهما أن يبرح مكانه، فيوسف لأن الرجل اشتراه بعد الظلم الذى وقع عليه ، وموسى لأجل الوفاء بالعهد ، وإتمام المدة .

١٧) الاستوزار أو التعضيد بالأخ :

ففى سورة يوسف : **قوله تعالى :** ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ **[يوسف/٦٩]**

وفى سورة القصص : **قوله تعالى :** ﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ **[القصص/ ٣٤-٣٥]**

١٨) التقاء كلا النبيين الكريمين بأهله :

ففى سورة يوسف : **قوله تعالى :** ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ **[يوسف/٩٩-١٠٠]**

وفى سورة القصص : قوله تعالى : ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ **[القصص/١٣]**

١٩) يوسف – عليه السلام – ألقى فى الجُبّ ، وموسى عليه السلام ألقى فى اليم .

٢٠) يوسف – عليه السلام – رُبِّى فى بيت العزيز، وموسى عليه السلام رُبِّى فى بيت فرعون .

٢١) التشابه بين قولى العزيز وامرأة فرعون، وفراستيهما :

ففى سورة يوسف : **قوله تعالى :** ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ **[يوسف/٢١]**

وفى سورة القصص : **قوله تعالى :** ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ **[القصص/٩]**

وكلٌّ من العزيز وامرأة فرعون انتفع بالنبيين الكريمين، فالعزيز انتفع بأن يوسف ـ عليه السلام ـ حفظه فى غيبته ولم يدنس فراشه، لأنه أكرم مثواه يوماً من الأيام، وامرأة فرعون انتفعت بموسى – عليه السلام – فى الدنيا والآخرة لمّا آمنت به ، فكان قرار عينها كما تفرست فيه .

٢٢) التشابه بين قولى امرأة فرعون، وأحد أخوة يوسف « لا تقتلوه »

ففى سورة يوسف: **قوله تعالى** :﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ ﴾ **[يوسف/١٠]**

وفى سورة القصص: **قوله تعالى**: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ **[القصص/٩]**

٢٣) تشابه الأبوة والأمومة فى الشفقة والحنو :

ففى سورة يوسف : **قوله تعالى** : ﴿ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ **[يوسف/ ١٣]**

وقال تعالى : ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ **[يوسف/١٨]**

وقوله تعالى : ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ **[يوسف/٨٤-٨٦]**

وفى سورة القصص : **قوله تعالى** : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ **[القصص/١٠]**

٢٤) تَعَلُّل الأبناء بكفر الآباء فى كلتا السورتين :

ففى سورة يوسف : **فى قوله تعالى** : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ **[يوسف/٤٠]**

وفى سورة القصص: فى قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ **[القصص/٣٦]**

٢٥) ذكر الشيخ الكبير فى كلتا السورتين ، وذكره بلفظ الأبوة :

ففي سورة يوسف **وقع ذكر الشيخ الكبير من أجل الاعتذار به لأجل أن يرقّ لهم العزيز يوسف . عليه السلام . ، فقال تعالى يحكى ما حدث:** ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ **[يوسف/ ٧٨]**

وفي سورة القصص: **وقع ذكر الشيخ الكبير من أجل الاعتذار عنه ، خشية أن يُظن به شيء من تقصير أو تفريط، فقال تعالى حاكياً ما حدث:** ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ **[القصص/٢٣]**

٢٦) دور أقارب الخصوم في الدفع عن النبيين الكريمين :

ففي سورة يوسف : **قوله تعالى :** ﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ **[يوسف/٢٦-٢٨]**

وفي سورة القصص: **قوله تعالى :** ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ **[القصص/٢١]**

٢٧) إثبات الحكم لله في كلتا السورتين :

ففي سورة يوسف **قوله تعالى :** ﴿ وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ **[يوسف/٦٧]**

وفي سور القصص: **في قوله تعالى :** ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ **[القصص/٨٨]**

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ **[القصص/٧٠]**

٢٨) تفشي السر وتناقل الناس له في كلتا السورتين :

ففي سورة يوسف: **قوله تعالى :** ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ **[يوسف/٣٠]**

وفي سورة القصص: **قوله تعالى :** ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ **[القصص/١٩]**

٢٩) استخدام الحيلة المحمودة لاسترجاع الأخ :

ففي سورة يوسف ، **نجد يوسف عليه السلام استخدام الحيلة المحمودة لاسترجاع أخيه إليه، قال تعالى :** ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ **إلى قوله** ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾ **[يوسف/٧٠-٧٦]**

وفي سورة القصص، **نجد أخت موسى تتلمّسه وتتفقّده من بعيد ، وعندما تكلمت استخدمت المعاريض، وهذا من الحكمة والحصافة، قال تعالى :** ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ **[القصص/١١-١٢]**

٣٠) كلا النبيين الكريمين بركة على من حوله :

أما البركة العامة، **فلأن كل من آمن بهما دخل الجنة ، ونجا من النار ، سواء أكان من القبط ، أم من بنى إسرائيل .**

وأما البركة الخاصة ، **فيوسف . عليه السلام . جاء بقومه من البدو، بعدما أصابهم القحط، فأقامهم بمصر مقاماً كريماً، وموسى . عليه السلام . أنجى الله به قومه من كيد فرعون وبطشه وأورثهم أرضهم وديارهم .**

٣١) من الآيات العظيمة: إلقاء القميص وإلقاء العصا :

ففي سورة يوسف: **جاء قوله تعالى :** ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾ **[يوسف/٩٣-٩٤]**

وفي سورة القصص: **جاء قوله تعالى :** ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ **[القصص/٣١]**

٣٢) تشابه أسباب انفراج الأزمتين :

ففي سورة يوسف : **نجد أن بداية الانفراجة عندما تذكر أحد صاحبى السجن، وذُكِرَ يوسف . عليه السلام . للملك .**

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾ **[يوسف/٤٥]**

وفي سورة القصص: **نجد أن بداية الانفراجة عندما ذهبت البنتان إلى أبيهما ، ثم رجعت إليه إحداهما على الصورة التى ذكرها الله تعالى ، فقال:** ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ **[القصص/٢٥]**

٣٣) مخاطبة النبي - ﷺ - بكلتا القصتين لتسليته، واعتبار من خلفه :

ففي سورة يوسف : **نجد قوله تعالى :** ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ **[يوسف/٣]**

وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ **إلى قوله تعالى** ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ **[يوسف/١٠٢-١١١]**

وفي سورة القصص: **نجد قوله تعالى :** ﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾ **[القصص/١-٣]**

وقال تعالى بعد قصة قارون، محذراً من وراءه: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ **[القصص/٨٣]**

٣٤) لجوء كلا النبيين الكريمين إلى الله تعالى فى محنتهما :

ففي سورة يوسف **نجد يوسف . عليه السلام . يقول :** ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ **[يوسف/٣٣-٣٤] ، فنجده ﷺ لجأ إلى الله بعد ما جرد نفسه من كل حول وقوة .**

وفي سورة القصص **نجد موسى . عليه السلام . يقول بعدما قتل القبطي :** ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ **[القصص/ ١٦-١٧]**

وقوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾ **[القصص/٢١-٢٢]**

٣٥) وعد الله للمؤمنين بالنصر والتمكين في كلتا السورتين :

ففي سورة يوسف : **قوله تعالى** ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ **[يوسف/٢١]**

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ **[يوسف/٥٤-٥٥]**

وقوله تعالى : ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ **[يوسف/١٠١]**

وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ **[يوسف/١١٠]**

وفي سورة القصص: **قوله تعالى :** ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ **[القصص/٥-٦]**

وقوله تعالى: يبشر النبى محمد ﷺ بالتمكين والردِّ إلى مكة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ **[القصص/٨٥]**

٣٦) مجيء لفظ (الأهل) فى كلتا السورتين :

ففى سورة يوسف **قوله تعالى :** ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **[يوسف/٢٥] فجاء لفظ (أهل) بمعنى الزوجة وفى قوله تعالى :** ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ **[يوسف/٦٢] بمعنى العشيرة أو القوم وكذلك قوله تعالى :** ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ **[يوسف/٦٥] وكذلك قوله تعالى :** ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ **[يوسف/٨٨] وكذلك قوله تعالى :** ﴿وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ **[يوسف/٩٣]**

وفى سورة القصص: **ورد لفظ (أهل) بمعنى الزوجة، فقال تعالى:**﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾**[القصص/٢٩]**

ولو أشكل علينا بأن أهله هنا هو زوجته وأولاده، فالجواب : **حتى لو فُرِض أنّ له ولدًا وقتئذٍ، فلن يتجاوز التسع سنين، فتعين أن الخطاب هنا للأكبر والأرشد، وهو الزوجة فى هذا المقام . والله أعلى وأعلم . .**

٣٧) كلتا السورتين ذكر فيها لفظ « الأرض »، وهى كناية عن مصر .

٣٨) كلا الملكين رأى رؤيا بنى عليها أحداث الصراع، **فرؤيا الملك فى قصة يوسف . عليه السلام . ذكرت نصاً ، ورؤيا فرعون فى قصة موسى . عليه السلام . ذكرها أهل التفسير .**

٣٩) تشابه **قوله تعالى :** ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ **[يوسف/١٠٩] مع قوله تعالى :** ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ **[القصص/٦٠]**

المفارقات :

١) المفارقة بين موقف الملكين المتناقضين مع النبيين الكريمين .

٢) المفارقة بين امرأة فرعون وامرأة العزيز .

٣) المفارقة بين موقف الشرفاء والمفرطين فى عفتهم :

هذه الملاحظة تَظْهَرُ فى تباين موقفى العزيز زوج المرأة عندما قال ليوسف – عليه السلام – ، وقد تبين له كذب امرأته، وخيانتها له : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [يوسف/٢٩]

وفى نخوة الرجل الصالح وشهامته وكيف أنه لم يتنازل عن مهر ابنته، فاستعاض عنه باستئجار نبى الله موسى – عليه السلام – ، ذلك ليعلم كل أحد أن الأبضاع لا يتصدق بها ولا توهب ، قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [القصص/٢٧] .

وكذلك أيضاً نلاحظ المفارقة الكبيرة بين موقف البنت الحيية التى جاءت لموسى – عليه السلام – تبلغه رسالة أبيها على الوصف الذى ذكره الله – تعالى – : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ [القصص/٢٥] ، وبين جسارة وشقاوة امرأة العزيز ، ونساء طبقتها حيث قالت : ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يوسف/٣٢] .

بضع امرأة واحدة ، لا تزيد عن غيرها إلا فى طهرها وعفتها ، فيعمل من أجلها الرجل عشر سنين أجيراً، وما ذاك إلا لأنه الحلال ، وعلى النقيض أبضاع نساء القصور تُعرض على رجل واحد ، وبدون أدنى ثمن ولو كان بخساً، وما ذاك إلا لأنه الحرام ، والعياذ بالله .

٤) المفارقة بين حال الإخوة فى السورتين :

الفرق بيّن جلى بين موقف أخت موسى فى تقصي أثره ، واستخدام الحيلة فى استرجاعه ورده ، وكذلك موقف هارون – عليه السلام– ، وعلى النقيض موقف إخوة يوسف، وارتكابهم الحيلة المذمومة للذب به بعيداً عن أبيه بأى وسيلة .

٥) المفارقة بين خروج يوسف وخروج قارون :

خرج يوسف – عليه السلام – خروج المُجْبَر المكرَه على أمره، فى تواضع جم، وبُغْضٍ لهذا المخرج قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾ **[يوسف/٣١]**

وأما قارون – لعنه الله – ، فخرج خروج البطر الأشر المتباهى، المُحِب لهذا المخرج ، المُعدُّ له العُدَّة ، قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ **[القصص/٧٩]**

٦) استخدام لفظة « أمة » بمعنيين مختلفين :

وردت هذه اللفظة فى سورة يوسف بمعنى الوقت أو المدة .

قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾ **[يوسف/٤٥]**

ووردت فى سورة القصص بمعنى الطائفة أو الجماعة .

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ **[القصص/٢٣]**

وقوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ **[القصص/ ٧٥]**

٧) وصف الحاكم بالملك بخلاف فرعون، ووصف الوزير بالعزيز ولم يوصف هامان بذلك:

وصف الملك فى قصة يوسف – عليه السلام – (بالمَلِك) ، ولم يوصف فرعون (بالمَلِك) ، مع أن كليهما حكم مصر .

وكذلك وصف الوزير الذى اشترى يوسف – عليه السلام – (بالعزيز) ، ووصف به أيضاً يوسف –عليه السلام– ، ولم يوصف بهذا الوصف هامان، مع العلم أنه كان وزيره الأول، والرجل الثانى بعد فرعون .

٨) ذكر أبى يوسف وعدم ذكر أمه تعييناً ، وذكر أم موسى وعدم ذكر أبيه .

٩) ذكر لفظ « **قرية » فى سورة يوسف ، ولفظ « المدينة » فى سورة القصص .**

١٠) رجوع موسى – عليه السلام – إلى أهله ، ورجوع أهل يوسف – عليه السلام – إليه .

١١) موسى –عليه السلام– خرج من مصر ، ويوسف– عليه السلام– دخل مصر ، وكلا الحدثان البداية الحقيقية فى سبيل تمكينهما .

(ب) بين القصص والشعراء المكيتَيْن[1] (التفصيل والإجمال) :

نجد فى هاتين السورتين الكريمتين تكراراً لقصة نبي الله موسى ـ عليه السلام ـ نفسه، بيد أن الذى أريد أن أنبه عليه ، أن التكرار فى القصص القرآنى ليس على سبيل التكرار الذى لا فائدة منه، بل الأمر على العكس أو النقيض ومن أكثر القصص تكرار قصة نبى الله موسى عليه السلام ، لأن الحاجة تدعو إلى ذلك ، فاليهود كانوا موجودين فى المدينة، وقريبين من قريش، وكذلك النصارى فى نجران وغيرها، فلذلك تكررت قصة موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ أكثر من غيرهما، ، لأن تكرار قصتيهما كان يراعى مقتضى الأحوال المتباينة ، ويخدم المقامات المختلفة ، ومع هذا لم يكن التكرار على وجه واحد، بل يختلف فى الطول والقصر، واللين والشدة، وذكر بعض جوانب القصة فى موضع دون آخر [2].

وهذا التباين فى جوانب القصة فى موضع دون آخر، يدفعنا إلى القول بوجود إجمال وتفصيل بينهما، وهذا ما نجده بين سورتى القصص والشعراء، والجدول التالى يوضح ذلك :

نوع القصة	سورة القصص	سورة الشعراء
التبشير بالرسالة، والاستوزار بهارون عليه السلام	إجمال	إجمال
مواجهة فرعون بالرسالة	إجمال	تفصيل
إهلاك فرعون وقومه	إجمال	تفصيل

فالملاحظ أن هناك ثلاث قصص مشتركة بين السورتين ، وأنهما اتفقتا فى الإجمال الحاصل فى قصة (البشارة بالرسالة والاستوزار بهارون – عليه السلام –) ، ولكن فى القصتين الأخيرتين، نجد تفصيلاً لهما فى الشعراء، وإجمالاً فى القصص، ولعل الدافع إلى ذلك :

١) أن سورة الشعراء عرض قصصى للصراع بين الحق والباطل، والأمر لا يخلو من ذكر المحاجات والمناظرات بين الفريقين، وذكر هلاك المكابرين والمعاندين، وهذان الأمران هما فحوى هاتين القصتين .

---

(١) انظر : ابن عاشور ـ التحرير والتنوير ـ (٢٠ / ٦٢)

(٢) ابن عثيمين ـ شرح أصول التفسير ـ ص (١٥١) بتصرف .

٢) مجىء ذكر هاتين القصتين فى سورة القصص، للدلالة على أهمية هاتين القصتين، وأما ذكرهما إجمالاً، فلأن العبرة فى هذا الموضع بمفادهما ، لاسيما وأنهما فصّلا فى موضع آخر .

وينبغى أيضاً أن نلاحظ أن مجىء القصة فى موضع ما مجملة، ليس الغرض منه الإجمال والاختصار فقط، بل ذلك ومعه شىء مهم، وهو إضافة فوائد وزوائد مهمة على القصة الأخرى، ولنضرب مثلاً بقصة (التبشير بالرسالة والاستوزار بهارون -عليه السلام-) ، نجد ما يلى :

(١) فى سورة الشعراء ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء/١٠]

وفى سورة القصص ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [القصص/٣٢]

فعلم من الجمع بينهما أن فرعون وقومه ظالمون وفاسقون .

(٢) فى سورة القصص ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ [القصص/٣٣]

وفى سورة الشعراء : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾﴾ [الشعراء/١٢]، ثم ذكر القتل فى آية رقم (١٤) ، فبالجمع علم أن موسى -عليه السلام- خاف التكذيب والقتل .

(٣) فى سورة الشعراء : ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الشعراء/١٣]

وفى سورة القصص :﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾ [القصص/٣٤] ، فبالجمع علم أن التكذيب سبب لضيق الصدر، وعلم أيضا أن هارون ـ عليه السلام ـ كان أفصح لساناً من موسى ـ عليه السلام ـ بسبب عارض اللثغة .

(ج) بين سورتى القصص وطه المكيتين (التفصيل والإجمال) :

نجد أيضا بين هاتين السورتين الكريمتين تكراراً لقصة نبى الله موسى– عليه السلام – ويمكننا القول أيضاً بوجود علاقة إجمال وتفصيل للتباين فى العرض القصصى فى السورتين الكريمتين على النحو التالى :

نوع القصة	سورة القصص	سورة طه
رؤية النار من الشجرة	**إجمال**	**تفصيل للمناجاة**
التبشير بالرسالة والاستوزار بهارون عليه السلام	**إجمال**	**تفصيل**
قصة أم موسى وإلقائه فى اليم وقصته مع أخته	**تفصيل**	**إجمال**
قصة دخوله مدين وخروجه منها	**تفصيل**	**إجمال**
مواجهة فرعون	**إجمال**	**تفصيل**
هلاك فرعون	**إجمال**	**إجمال**

ثالثاً : الوحدة بين سورة القصص وما قبلها وما بعدها

(أ) الوحدة بين أواخر(النمل) وأوائل (القصص)

(ب) الوحدة بين أواخر (القصص) وأوائل (العنكبوت)

(أ) الوحدة بين أواخر النمل ، وأوائل القصص :

إن المتتبع لأواخر سورة النمل ، و أوائل سورة القصص يلحظ ثمة وحدةً وتناسباً بين آي السورتين .

قال السيوطي نقلاً عن بعض أهل العلم : إذا اعتبرت افتتاح كلّ سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ، ثم هو يخفى تارةً ، ويظهر أخرى كافتتاح سورة الأنعام بالحمد ، فإنه مناسب لختام المائدة من فصل القضاء كما قال تعالى : ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الزمر / ٧٥) [1] ، وهاكَ بعضاً مما تراءى لي :

- الأمر بالحمد على النعم والآيات و المنن :

في سورة النمل في قوله تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ (النمل /٩٣)

ثم جاء في سورة القصص – في صدرها – أُولى النعم والآيات و أَوْلاها وأحراها بالحمد والشكر ، القرآن الكريم ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (القصص /٢)

وجاء في صدر القصص نعمة المن بالنصر والتمكين لعباده المؤمنين ، وهي أيضاً من النعم التي ينبغي أن يحمد عليها المولى – عز وجل – ، وهي ضمن الآيات التي وعدنا الله برؤيتها ، قال تعالى : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (القصص ٥-٦)

- الوعد ببذل الآيات البيِّنات الواضحات وإنزالها :

في سورة النمل في قوله – تعالى – : ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ (النمل /٩٣)

ومعلوم أن حرف (السين) له فائدتان : الأولى : قرب وقوع الحدث .

---

(١) انظر : السيوطي – الإتقان – ص (٤٥٨)

الثانية : تحقق وقوع الحدث ، أي إن هذه الآيات لابد أن تقع ونراها بقدر الله الكوني ، وهي آيات بينات واضحات ، بدلالة قوله تعالى :﴿فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ (النمل /٩٣)

ويأتى المعنى نفسه تقريباً في صدر سورة القصص ، لا يفصل بينهما سوى الحروف المقطعة ﴿طسٓمٓ ﴾ (القصص /١) ، وذلك في قوله عز وجل : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ (القصص /٢)

من سنن الله – جل وعلا – إمهال الظالمين وعدم الغفلة عنهم :

نطالع هذا المعنى تطابقاً في سورة النمل في قوله تعالى : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (النمل /٩٣)

وتطالعه بدلالة الالتزام في سورة القصص في قوله تعالى : ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (القصص /٣)

ومعلوم أن الذي يتلو نبأً لا يكون غافلاً ، فما بالنا لو قُيّد الإنباء بأنه حق ، وما بالنا لو كان من عند الله العليم الخبير ، فهذا المعنى يدل مع غيره بدلالة التلازم على عدم الغفلة ، وحاشاه سبحانه وتعالى .

مَنُّ الله وفضله على المؤمنين في الدنيا و الآخرة :

نلحظ هذا في سورة النمل في قوله – تعالى – : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النمل ٨٩–٩٠) .

والمعنى نفسه نلاحظه في سورة القصص في قوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص ٥–٦)

ومعلوم أن إمامة الدين تكون في الدنيا والآخرة ، وكذلك الوراثة قد تكون في الدنيا والآخرة أو في الآخرة ، والشاهد أن المؤمن في معية الله – جل وعلا – في الدنيا والآخرة ، ومقتضى تلك المعية الخاصة النصر والتأييد والتمكين .

القرآن الكريم بيان وهداية لمن يتلوه ويتدبره :

في سورة النمل في قوله عز من قائل : ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ **(النمل /٩٢)**

وفي سورة القصص في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ **(القصص ٢-٣)**

ويظهر التلازم بين قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ ﴾ **وقوله :** ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ نَتْلُوا۟ ﴾ **وكذلك التلازم بين قوله تعالى :** ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾**وقوله :** ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

التعاقب بين الخير والشر ، والهدى والضلالة :

في سورة النمل نجد ذكر المقابلة بين الناجي بالحسنة الراجح ميزانه ، وبين المُقْرف الهالكِ الذى أوبقه عدوانه ، قال تعالى : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
(النمل ٨٩-٩٠)

وكذلك ذكر حالتي الهدى والضلالة في قوله تعالى : ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ **(النمل /٩٢)**

وفي صدر سورة القصص أيضاً نجد ذكر مثالي الخير والشر متمثلين في موسى- عليه السلام- ، وفرعون عليه .لعنه الله . ، في قوله تعالى : ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ **(القصص /٣)**

وكذلك ذكر مثالي الخير و الشر بعد ذلك متمثلين في المؤمنين من بني إسرائيل عامة ، وفي فرعون وهامان وسائر جنودهما، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ **(القصص ٥-٦)**

ملاحظات أخرى بين سورتي القصص والنمل :

الملاحظات السابقة كانت بين أواخر سورة النمل ، وأوائل القصص ، بيد أن المتتبع للسورتين في الجملة يمكنه استنباط بعض الملاحظات الأخرى بصفة عامة فمن ذلك :

- **السورتان مكيتان .**
- **الاتفاق في فواصل السورتين في الجملة ، إلا القليل .**
- **كلتا السورتين من السور القصصية ، استُخْدِمَ فيها العرض القصصى ، لإيضاح قضية التوحيد فى صراعه مع الكفر ، وإبراز الاعتبار بمن عاند وكابر من الأمم الظالمة .**
- **كلتا السورتين الكريمتين تعرضتا لمسألة (توحيد الربوبية) عن طريق التدبر في صفحة الكون ، والتفكر في حال الإنسان نفسه ثم قرّر المولى – عز وجل – هذه الحقيقة العقدية عن طريق الاستفهام الإنكاري ، الذي لا يجد أمامه المنكر الجاحد بدًّا من الإقرار بالوحدانية لله رب العالمين ، تكرّر ذلك في سورة النمل في الآيات من (٥٩) وحتى الآية (٦٤) بالسؤال بـ ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ (النمل /٦٤)**

وكذلك في سورة القصص في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ **(القصص /٧١)**

وقوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ **(القصص /٧٢)**

- **تعرضت سورة النمل كالقصص لذكر موسى ـ عليه السلام ـ ، ولكن بشىء من الإجمال ، ولعل ذلك للاعتبار بقصته مع فرعون في الجملة ، لاسيما وأن قصته ذكرت بشىء من التفصيل في سورة الشعراء السابقة لها ، وكذلك في سورة القصص اللاحقة لها ، وكلاهما ذكر ما أُجمل في سورة النمل ، فلعل هذا هو سبب الإجمال فيها، وأن الهدف بالدرجة الأولى هو العبرة .**
- **كلتا السورتين تعرضت لذكر الآيات العجيبة ، كالحية ، والنملة و الهدهد ، والصرح المُمَرَّد من قوارير ، والعفريت من الجن ، والذي عنده علم من الكتاب ، وإدخال اليد من الجيب ، وإلقاء موسى ـ عليه السلام ـ في اليم ونجاته بقدر الله الغالب ، وتربيته في بيت أكفر وأعتى رجل ، وغنى قارون العجيب ، وقصة خسف الأرض به .**

(ب) الوحدة بين أواخر (القصص) ، وأوائل (العنكبوت) :

بتتبع أواخر سورة (القصص) ، وأوائل سورة (العنكبوت) ، لاحظنا أيضاً وجود وحدة بين السورتين ، فمن ذلك :

توحيد الله – جلّ وعلا – أمنةٌ للمؤمنين يوم اللقاء :

في سورة القصص ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ **(القصص /٨٨)**

وفي سورة العنكبوت ، في قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ **(العنكبوت /٥)**

ومعلوم أن من رجا لقاء الله بالشرك دون التوحيد ، فهو عابث ساخر ، مثله كمثل الذي اشتهى الولد من صلبه بدون نكاح ، ومن أراد سفراً أعدّ له عدّته ، وعدة المؤمن توحيد الله تعالى .

الرد (كوناً) إلى أجل وميعاد للحساب والجزاء :

في سورة القصص ، في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ **(القصص /٨٥)**

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ **(القصص /٨٨)**

وفي سورة العنكبوت ، في قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ **(العنكبوت /٥)**

التحذير من مغبة منقلب الفتن وسوئه :

في سورة العنكبوت ، في قوله تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ **(العنكبوت ٢-٣)**

وفي سورة القصص ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا

وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (القصص ٨٧-٨٨) ومعلوم أن صدهم عن آيات الله من أعظم الفتن ، وهو ما أكده صدر سورة العنكبوت .

لا خلاص من الفتن إلا بالدعوة والمجاهدة :

ومن المعلوم بالضرورة أن بين الدعوة والمجاهدة تلازماً ، فالدعوة أصل، والمجاهدة فرع ، أو أن علاقتهما سببيه ، ولذلك كان من وصيه لقمان لابنه ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ وهذا دعوة إلى الله ، وإقامة لشعائر الدين ، ثم قال : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (لقمان /١٧) ، أي إن القائم بالدعوة وما يلزمها من أمر بمعروف ، ونهي عن منكر ، لابد أن يناله أذي من الناس ، لذا فحرىٌ به وجدير أن يجاهد نفسه على الصبر، وهذا من عزم الأمور .

نطالع هذه المعاني الجليلة في سورة القصص في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ٠ (القصص /٨٧)

وفى سورة العنكبوت فى قوله تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (العنكبوت: ٢ – ٣)

تبشير المؤمنين بفضل الله عليهم ، وعفوه عنهم :

في سورة القصص ، في قوله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ ﴾ (القصص /٨٤)

وفي سورة العنكبوت ، في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (العنكبوت /٧)

الله – عز وجل – يملي للظالم ، فإذا أخذه لم يفلته :

في سورة القصص ، في قوله تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (القصص ٨١-٨٢)

وفي سورة العنكبوت ، في قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ **(العنكبوت /٤) .**

ثمرة اعتقاد المؤمن باسم الله " العليم " :

من المقرر في قواعد الأسماء والصفات أن اسم الله ـ جل وعلا ـ ، يتضمن الصفة ، ولا عكس [1] ، وعليه فاسم الله (العليم) يتضمن صفة (العلم) ، والمؤمن إذا اعتقد أن الله عليم ، فلا بد أن يراقب الله ـ جل وعلا ـ ، ولا يُرِى الله ـ عز وجل ـ منه إلا الخير كل الخير ، وهذا من أجل ثمرات الاعتقاد بهذه الصفة العظيمة ، لإحياء المراقبة وإيقاظها فى النفس ، والله ـ جل وعلا ـ يلفتنا إلى هذه الثمرة في السورتين ، ففي سورة القصص ، في قوله تعالى : ﴿ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ **(القصص /٨٥)**

وفي سورة العنكبوت ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ **(العنكبوت /٣)**

وكذلك قوله : ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَـَٔاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ **(العنكبوت /٥)**

ملاحظات أخرى بين سورتى القصص والعنكبوت في الجملة

- **السورتان مكيتان .**
- **السورتان الكريمتان من السور القصصية .**
- **اتفاق الفواصل في العموم في السورتين الكريمتين .**
- **كلتا السورتين الكريمتين تعرضتا لمسألة التقرير (لتوحيد الربوبية) عن طريق التفكر والتدبر فى صفحة الكون، وبذلك تكون السور الثلاث (النمل ـ القصص ـ العنكبوت) مشتركة فى تقرير هذه المسألة ، وقد مر بنا الآيات التى تقرر هذه المسألة فى سورة القصص، والآن نشير إلى الآيات فى سورة العنكبوت**

---

(١) ابن عثيمين – القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى – انظر : القاعدة الثانية من قواعد الأسماء ص (١١)

- **قال تعالى :** ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ **[العنكبوت/١٩-٢٠]**
- **تعرضت سورة العنكبوت لذكر نبى الله موسى ـ عليه السلام ـ كما تعرضت له القصص، بيد أنها تشبه سورة النمل فى أنها عرضت سيرته بشىء من الإجمال والاختصار، ولعل ذلك أيضاً للاعتبار بقصته مع فرعون فى الجملة .**
- **تقرير مسألة بسط الرزق وقدره ، وأنها بيد الله ـ جل وعلا ـ : ورد ذلك فى سورة القصص فى قوله تعالى :** ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ﴾ **[القصص/٨٢]**

وفى سورة العنكبوت فى قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ **[العنكبوت/٦٢]**

- **بيان وتفصيل للإجمال فى قوله تعالى :** ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ﴾ **[القصص/٨٧] وفى قوله تعالى :** ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ **[العنكبوت/١٢]**
- **ورود الآيات والفوائد العجيبة والمفيدة :**

وذلك نجده فى السورتين ، وقد سبق الإشارة لما فى القصص، وأما سورة العنكبوت فأسجل الإشارة إلى حقيقة أن أوهن البيوت بيت العنكبوت، وذكر هذا على سبيل التمثيل بضعف الآلهة التى اتخذها المشركون من دون الله، قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « فذكر سبحانه أنهم ضعفاء ، وأن الذين اتخذوهم أولياء ، هم أضعف منهم ، فهم فى ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتاً ، وهو أوهن البيوت وأضعفه » [(١)] .

ولعلنا نستنتج مما سبق، وجود وحدة بين معانى السور الثلاث، لاسيما الروابط والوشائج المتناسقة بين هذه السورة القرآنية وما قبلها وما بعدها، وهو ما يحدو بنا إلى القول : إن

---

(١) ابن قيم الجوزية ـ الجامع فى أمثال القرآن الكريم ـ جمع وترتيب : أبى أويس الكردى ـ راجعه : الشيخ مصطفى بن العدوى ـ مكتبة ابن تيمية ـ ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م ـ انظر : سورة العنكبوت ص (١٨٤)

الصحابة – رضوان الله عليهم – لم يضعوا سورة معينة فى موضع إلا بالإشارة من النبي – صلى الله عليه وسلم – ، لأن هذا الاتساق لا يكون إلا بوحى كما ذكر العز بن عبد السلام – رحمه الله – ، وأيضا يمكننا القول إن من فائدة ذكر هذه الروابط العون على فهم أدق لجوهر السورة القرآنية .

رابعاً : الوحدة بين مفتتح السورة وختامها :

مذهب العرب فى نظم الكلام أن يوازنوا كلَّ الموازنة بين مطلعه ونهايته، لأجل أن يستقيم الكلام ولا يخرج أوله عن آخره، ولا آخره عن أوله، وهذا المذهب البلاغى تنبّه له قدماء البلاغيين كالجاحظ فى (البيان والتبيين) ، وأبى هلال العسكرى فى كتاب (الصناعتين : النظم والشعر) ، وقدامة بن جعفر فى (نقد الشعر) ، وابن المعتز فى (نقد الشعر) ، وابن الأثير فى (المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر) .

وقد جاء القرآن الكريم على سنن العرب فى كلامها فى فنونه البديعية، وأفانينه البلاغية البيانية، وكان من ذلك أن يستقيم المعنى فى أول السورة وآخرها، بحيث يأخذ أولها برقبة آخرها، لأجل أن يظهر الإعجاز القرآنى [1].

وقد فصّل بعضَ ذلك الإمام البقاعى فى كتابه (نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور)[2] وكذلك الإمام السيوطى فى كتابه (تناسق الدرر فى تناسب السور) [3].

وبالفعل نجد أن سورة (القصص) موضوع دراستنا أتت على هذه السُّنة فى الأسلوب العرضى لمادتها الداخلية ، ويتضح ذلك باستعراض وشائج هذه العلاقات المترابطة بين فاتحة السورة وخاتمتها، وأعرض فيما يلى تفصيلاً لبعض صور الوحدة بين : صدر السورة وعجزها :

(أ) الإشادة بالآيات القرآنية الربانية :

وذلك فى صدر السورة فى قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ ﴾ [القصص / ٢] ، وفى عجز السورة فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٨٧ ﴾ [القصص/٨٧]

---

(١) الباقلانى . إعجاز القرآن . تحقيق : السيد صقر . دار المعارف . القاهرة . د.ت . ص (١٩٦)

(٢) البقاعى . نظم الدرر . تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدى . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ١٩٩٥م – (١٢٦/١) .

(٣) السيوطى . تناسق الدرر فى تناسب السور . دار عالم الكتب . بيروت . ١٤٠٨– ١٩٨٧ – (٢١٦/١) .

ونلاحظ معنى الإشادة والتباهى بهذه الآيات الربانية فى الإشارة بلام وكاف البعد فى قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ وفى نهى النبي ﷺ أن يُصَدَّ ويُصْرَف عن هذه الآيات وعن الدعوة إليها، وأن عاقبة ذلك الشرك، فعلم بمفهوم المخالفة لمنطوق الآية عظم شأن هذه الآيات الربانية لمن استمسك بها ودعا إليها .

(ب) الامتنان بالوحى على النبي – ﷺ – :

وذلك فى قوله تعالى : ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾ **[القصص/٣]**

وفى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ **[القصص/٨٦]**

(ج) البشارة بالوراثة والتمكين لأهل الإيمان :

وذلك فى صدر السورة الكريمة فى قوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ **[القصص/٥-٦]**

وكذلك فى عجز السورة الكريمة جاء المعنى نفسه فى قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ **[القصص/٨٣]**

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ **[القصص/٨٥]**

(د) الإشارة إلى عاقبة البغى والطغيان فى الأرض :

وهذا المعنى صدرت به السورة الكريمة عند ذكر فساد فرعون وطغيانه فى الأرض .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ **[القصص/٤] ، ثم ذكر المولى . عز وجل . تمام القصة إلى أن نُبِذَ فرعون فى اليم كما ينبذ الشىء الحقير الضئيل .**

وقرب انتهاء السورة ذكرنا المولى ـ جل وعلا ـ بطاغية آخر علا فى الأرض، ألا وهو قارون، وكيف أن الله خسف به الأرض ، فقال عز من قائل : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص/٨١]

ثم ختم المولى – جل وعلا – بفصل الخطاب، وأنه لا يبقى طائع ولا عاصٍ ، وفى هذا تحذير للطغاة البغاة بدلالة التلازم حين يلقونه جل وعلا فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص/٨٨]

(هـ) الإشارة إلى قدر الله الغالب برد كلا النبيين الكريمين –عليهما السلام– :

فالله ـ عز وجل ـ غالب على أمره، لا يتعاظمه شىء ، فقدر كوناً رجوع موسى ـ عليه السلام ـ إلى أمه، وجاء ذلك فى صدر السورة الكريمة فى قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص/٧] وفى نهاية السورة يلفتنا القرآن العظيم إلى المعنى نفسه ، وأن الله – جل وعلا – غالب على أمره، فيبشر الله ـ عز وجل ـ نبيه ﷺ بردّه إلى بلده مكة المكرمة فاتحاً لها مرة أخرى بعد إخراجه منها [1] .

فقال عز من قائل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ ﴾ [القصص/٨٥]

(و) الإشارة إلى أن إرادة الله الكونية وحكمه لا رادّ لهما :

فالإرادة : إرادتان شرعية وكونية، فالشرعية لا تكون إلا فيما يحبه الله تعالى كإرادة الصلوات والطاعات وغيرهما، والكونية تكون فيما يحبه الله، وفيما لا يحبه الله تعالى، كالطاعات، والكفر والفسوق، فهذا الأخير ، أراده الله كوناً ولم يرده شرعاً، فالمهم أن الله – جل وعلا – إذا قدر

---

(١) جاء فى تفسير قوله تعالى : « إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد » أقوال متعددة خلاصتها أن الرد هو: بالموت ، وقيل بيوم القيامة، وقيل بالجنة التى هى مصيره وجزاؤه ، وقيل الرد : بالعودة إلى مكة ، وذكر هذا القول الأخير البخارى فى التفسير من صحيحه ، ولكن يبقى إشكال أن السورة مكية، فكيف نقول بالقول الأخير، والآيات مكية، والجواب: أنه يحتمل أن السورة مكية فى مجملها، وأن هذه الآية مدنية، ذكر ذلك ابن كثير فى تفسيره. انظر : تفسير القرآن العظيم (٣ / ٤١٧)

أمراً، فإنه أراده كوناً ، ولابد حتماً من وقوعه ، وهذا ما حدث عندما أراد الله – جل وعلا – كوناً أن يمن على المؤمنين المستضعفين ويورثهم الأرض ويمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم فقال عز من قائل: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص/٥-٦]

وتم الأمر كما أراد الله – جل وعلا – ، ولا معقب لإرادته وحكمه ، وهو ما قرره الله – جل وعلا – فى ختام السورة فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص/٨٨] .

(ز) الوحدة بين مشابهة قول موسى – عليه السلام – :

﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص/١٧] وهو خبر أو خبر بمعنى الدعاء كما قال أهل التفسير[1] ، وبين قوله تعالى للنبي محمد ﷺ : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [القصص/٨٦]

المبحث الثالث

(١) انظر: الرازى . التفسير الكبير . دار إحياء التراث العربى . بيروت . ط٣ : ١٤٢٠هـ . القصص . (٢٤ / ٥٨٦).

ما انفردت به سورة القصص

١) ذكر المرأة فى رتب ومستويات متباينة .
٢) مقابلات بين نماذج بشرية وشخصيات .
٣) تضادات ومفارقات .
٤) غنى السورة بالمحاور الأساسية للقصة .
٥) تفصيل الأحداث فى ضوء ولادة موسى – عليه السلام – .
٦) تفصيل دور امرأة فرعون لإنقاذ موسى – عليه السلام – .
٧) تفصيل قصة مقتل القبطى .
٨) تفصيل قصة دخوله مدين .
٩) انفراد السورة بذكر قصة الرجل المؤمن المحذر لموسى – عليه السلام – .
١٠) تفصيل قصة قارون .

المبحث الثالث

(ما انفردت به سورة القصص)

(١) ذكر المرأة في رتب ومستويات متباينة :

فذكرت المرأة فى حال كونها : أماً ـ أختاً ـ زوجةً ـ ظِئْراً (ترضع لغيرها) ـ خادمةً ـ مستضعفةً ـ متمكنةً ـ شفيقةً حنوناً ـ حيّيةً ـ مؤمنةً ـ حصيفةً ـ عاملةً ـ رسولاً ـ ابنةً وزوجةً مصونتين .

- مثال الأمومة

قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ **[القصص/١٠] وقوله :** ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ ﴾ **[القصص/١٣] ، قوله تعالى :** ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ **[القصص/٧]**

- مثال الأخت : **قوله تعالى :**﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ **[القصص/١١]**
- مثال الظِّئْر ، **قوله تعالى :**﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾ **[القصص/١٢]**
- مثال الخادمة : **قوله تعالى :**﴿وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾ **[القصص/٤]**
- مثال المستضعفة ، **قوله تعالى :**﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ **[القصص/٢٣]**
- مثال المتمكنة ، **قوله تعالى :**﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ **[القصص/٩]**
- مثال الشفيقة الحنون: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ **[القصص/٧]**

وقوله تعالى :﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ **[القصص/٩]**

وقوله تعالى :﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ **[القصص/١٠]**

وقوله تعالى :﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ **[القصص/١٣]**

- مثال الحيية ، **قوله تعالى :**﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ **[القصص/٢٥]**

- مثال المؤمنة ، **قوله تعالى** :﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ **[القصص/٩]**

وقوله تعالى :﴿ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠﴾ **[القصص/١٠]**

- مثال الزوجة : **قوله تعالى** :﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا ﴾ **[القصص/٢٩]**

- مثال الحصيفة: **قوله تعالى**:﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ **[القصص/٩]**

وقوله تعالى :﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ **[القصص/١١]**

وقوله تعالى :﴿فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ **[القصص/١٢]**

وقوله تعالى :﴿قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴾ **[القصص/٢٣]**

وقوله تعالى :﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾ **[القصص/٢٦]**

- مثال العاملة : **قوله تعالى** : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ ﴾ **[القصص/٢٣]**

- مثال الرسول : **قوله تعالى** : ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَا ﴾ **[القصص/٢٥]**

- مثال الابنة والزوجة المصونتين : **قوله تعالى** : ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ ﴾ **[القصص/٢٧]**

وقوله تعالى :﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٢٩﴾ **[القصص/٢٩]**

(٢) مقابلات بين نماذج بشرية وشخصيات :

المؤمن الكريم	الكافر اللئيم
وهذا نجد مثاله فى صورة كل مؤمن محسن أتى ذكره أو وصفه فى السورة الكريمة، ويأتى على رأس هؤلاء النبيان الكريمان موسى وهارون - عليهما السلام - ثم أم موسى وأخته وامرأة فرعون والرجل الصالح (صالح مدين) وابنتاه، والرجل الذى جاء من أقصى المدينة يحذر نبى الله موسى - عليه السلام - .	**وهذا نجد مثاله فى كل صورة كفرية متعالية متمثلة فى فرعون وهامان وجنودهما ، وفى كل صورة باغية عالية فى الأرض بغير الحق بسبب المال والجاه متمثلة فى قارون وعّماله .**
الفقير المستغنى بربه	الغنى الباغى (المستغنى بماله عن ربه)
وهذا نجده مع نبى الله موسى - عليه الصلاة والسلام - فى قوله تعالى حكاية عنه : ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ **[القصص/٢٤]**	**وعلى العكس والنقيض نجد قارون - عليه لعنة الله - لم يشكر نعمة الله عليه، بل لما ذُكِّر بالله . جل وعلا . قال . قبحه الله . فيما يحكى عنه :** ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ **[القصص/٧٨]**
المؤمن المُتَيَقِّن	الفاسق المُستَخَفّ
وعلى رأس هؤلاء النبيان الكريمان ومنهم الرجل المحذر لنبى الله موسى . عليه السلام . ، فهذا الرجل حدا به إيمانه إلى مخالفة كل الأعراف الشركية وهرع يسعى على قدميه ليحذر موسى - عليه السلام - قال تعالى :	**ومثال هذا كل فاسق يُستخف لقلة عقله، وحبه للباطل، وكرهه للتحول عنه إلى الحق، قال تعالى :** ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ **[الزخرف/٥٤] وكذلك كل فاسق يستخف ولذلك لم يستثنهم الله جل**

﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القصص/٢٠]

وكذلك علماء بنى إسرائيل مع قارون ، لم يستخفهم بريق المال ولم يلههم علو قارون أن يقولوا الحق ويعدلوا عن الباطل، قال عز من قائل: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ **[القصص/٧٧]**

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ **[القصص/٨٠]**

وعلا من الخطاب والعذاب، فقال تعالى : ﴿ وَنُرِى فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ **[القصص/٦]**

وقال تعالى : ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ **[القصص/٨]**

ومن أشد الاستخفاف بهم ما سجله القرآن الكريم حكاية عن فرعون . قبحه الله . :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ **[القصص/٣٨]**

ولذلك لم يستثنوا من العذاب، قال تعالى:

﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ **[القصص/٤٠]**

وكذلك أتباع قارون فَسَقَةٌ مُسْتَخَفُّون، ولذلك لم يستثنوا من العذاب ولم يستطيعوا أن يدفعوا عنه العذاب، قال تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ **[القصص/٨١]**

العظيم المروءة	الفاقد للمروءة
ويظهر ذلك فى موقف موسى – عليه السلام – مع المرأتين الضعيفتين ، قال تعالى : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ **[القصص/٢٣-٢٤]**	**ويظهر هذا فى موقف الطائفة من الناس الذين يسقون ولا يلتفتون إلى المرأتين حتى بعد فراغهم، وهذا لاشك من فقدان المروءة، وليس من قلتها وهذا واضح فى قولهما :** ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ **[القصص/٢٣]**
العالى فى الأرض	المستضعفون فى الأرض
وهذا الصنف يتمثل فى فرعون ومن معه، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ **[القصص/٤] ، ويتمثل أيضا فى قارون ومن معه، قال تعالى :** ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ **[القصص/٧٩]**	**وهذا الصنف يتمثل فى المستضعفين من مؤمنى بنى إسرائيل الذين وقع عليهم قهر وظلم فرعون وجنوده، قال تعالى :** ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾ **[القصص/٤-٥]**
الذل والافتقار إلى الله سبيل النصر والتمكين	الكبر والاستغناء عنه سبيل الخسران والخذلان
وهذا نراه جليًا مع موسى عليه السلام فى مواقف عديدة بالسورة الكريمة، قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ **[القصص/١٦] ، وقوله تعالى :** ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ	**وهذا المثال نراه جلياً مع فرعون وقارون فأما فرعون ففى قوله تعالى :** ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ **[القصص/٤] ، وقوله :** ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ **[القصص/٣٨]**

نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [القصص/٢١] وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [القصص/٢٢] وقوله تعالى : ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [القصص/٢٤] وقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القصص/٣٣-٣٥]	وقوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [القصص/٣٩] وأما قارون ففى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [القصص/٧٦] وقوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ﴾ [القصص/٧٨] وقوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ [القصص/ ٧٩]
العاضد	الخاذل
وهذا هو هارون - عليه الصلاة والسلام - قال تعالى : ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القصص/٣٤-٣٥]	وهو الرجل الذى استنصره في اليوم الأول ثم قُتل بسببه القبطى، ثم استصرخه فى اليوم التالى وفشا أمره، ولما صار فى خطر لم نسمع أنه عاضده وآزره، بل لما فشا أمره خذله، قال تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ

	نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ **[القصص/١٨-١٩]**
من آمن بالكتابين	من كفر بالكتابين
وهؤلاء هم أهل الكتاب الأول ، فكان من اليهود والنصارى من لم يبدل ولم يغير فى دينه ، ولذلك لما جاءهم القرآن الكريم آمنوا به لموافقته الحق الذى معهم ، ومن أمثال هؤلاء عبد الله بن سلام ﷺ ، وعدى بن حاتم الطائى ﷺ ، والنجاشى ملك الحبشة . رحمه الله . ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ **[القصص / ٥٢ . ٥٤]**	**وهؤلاء هم كفار مكة الذى ضربوا الأمثال لله ولرسوله على سبيل التعجيز ، وهى أمثلة وأقيسة منقوضة بكفرهم بها ، فكيف يستدلون بها ؟! ، قال تعالى :** ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ **[القصص / ٤٧ . ٤٨]**
الفائز المغتبط	الخاسر النام
قال تعالى : ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ **[القصص/٥٣-٥٤]** **وقوله تعالى :** ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ **[القصص/٦١]**	**قال تعالى :** ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ **[القصص/٤٠-٤٢]**

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ **[القصص/٦٧]** **وقولـــه تعـــالى :** ﴿ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ **[القصص/٨٠]**	**وقولـه تعـالى :** ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ **[القصص/٦٢-٦٤] ، وقوله تعالى :** ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ **[القصص/٨١]**
الطارد المُقْصِى	الآوى المُدْنِى
وهذا هو فرعون . لعنه الله . وقد حكى الله . تعالى . تدبيره لقتل موسى ، فقال : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ **[القصص/٢٠-٢١]**	**وهذا هو صالح مدين ، ذلكم الرجل المؤمن الرفيق ، قال . تعالى . حكاية عنه :** ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ **[القصص/٢٥]**
الناصح الأمين	الغوىُّ المبين
قال تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ **[القصص/٢٠]**	**قال تعالى :** ﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ **[القصص/١٨]** **ولاشك أن مثل هذا يُورط فى المهالك ، وهو**

	ضد الناصح الذى يُقيل العثرة ويُشِيل من الكبوة
أهل العلم (طلاب الآخرة)	أهل الجهل (طلاب الدنيا)
قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ **[القصص/٨٠]**	**قال تعالى :** ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ **[القصص/٧٩]**
الملقَى فى اليم	المنبوذ فى اليم
وهذا هو نبى الله الكريم موسى – عليه السلام – ، ومعلوم أن فى إلقائه عناية به ، لأن الله تكفله بحفظه ، فكان اليم له ملجأً ومناماً ، كما كانت النار لإبراهيم برداً وسلاماً ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ **[القصص/٧] وسيأتى فى الفصل الثالث ما فى هذه الآية من معانى جليلة وإعجاز قرآنى فريد**	**وذاك هو الأبعد فرعون . لعنه الله . وجنوده وفى استخدام فعل النبذ دلالة على حقارة وضآلة المنبوذ، وأن القوة لله جميعاً، قال تعالى :** ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ **[القصص/٤٠]**

(٣) تضادات ومفارقات :

(أ) الغرق والخسف عاقبة التعالى والبغى :

ففرعون . قبحه الله . **علا فى الأرض علواً حسياً ومعنوياً، فعوقب بنقيض قصده حسياً ومعنوياً، وهاكَ البيانَ :**

العلو الحسى : **قال فرعون . لعنه الله . :** ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ **[القصص/٣٨]**

فجاء العقاب الحسى : **فى قوله تعالى :** ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ **[القصص/٤٠]**

وأما العلو المعنوى : **فظاهر فى كل أقوال وأفعال فرعون ، ولا أدل من قوله مدعياً الألوهية :** ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ **[القصص/٣٨]**

فجاء على النقيض أيضا العقاب المعنوى : **فى قوله جل ذكره :** ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ **[القصص/٤١-٤٢]**

وأما قارون – لعنه الله – : **لما علا وتباهى وبغى فى الأرض، جاء العقاب أيضاً على نقيض القصد ، قال تعالى :** ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ **[القصص/٨١]**

(ب) بين قدر الله الغالب وتقدير فرعون المغلوب **فالله – عز وجل – غالب على أمره، والله – عز وجل– إذا أراد أمراً هيأ أسبابه ، ولا راد عندئذٍ لحكمه، ففرعون فكر وقدّر فقتل كيف قدّر، وانتهى إلى الأمر بقتل الأولاد من بنى إسرائيل، ولكن بقدر الله الغالب يربى فرعون موسى، ويبعث الجنود للبحث له عن المراضع، مع التشديد على ضرورة العناية والاهتمام بربيب الفرعون الأعظم، قال تعالى :** ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ **[القصص/٨]**

(ج) تلك إذاً قسمة ضيزى :

فنبى الله موسى – عليه السلام – ينتفض ليُحجِّز بين رجلين بينهما شر ، يصول أحدهما على الآخر، فلما هبَّ لنصرة المظلوم بدفع الظالم فقط عن خصمه، والأمر لا يخلو كما هو معلوم من بعض التعنيف والدفع لفض هذا العراك، وقع هذا الخصم صريعاً، نظراً لقوة نبى الله موسى – عليه السلام – ، فقامت الدنيا ولم تقعد، واستنفر فرعون الجنود لطلب القاتل خطأً، وهذه الجنود بعينها هى التى تُستنفَر لتقتل الطفل البرىء الذى لم يقترف إثماً ، طاعة للفرعون الأعظم ، لذلك فقياسهم فاسد، وحججهم محجوجة بقبيح فعلهم ، ولا أكثر من أن نقول : تلك إذًا قسمةٌ ضيزى.

(د) هداية التوفيق بيد الله وحده :

فالهداية هدايتان: هداية توفيق **أو** هداية إرشاد، (فالأولى) **لله وحده، و(الثانية) لله ثم للأنبياء والمرسلين ومَنْ وراءهم من أهل العلم ، وهداية البيان والإرشاد مما كتبه الله على نفسه،**

قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ **[الليل/١٢] ، وقوله:** ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾**[الأعلى/٣] ، ويسميها العلماء أيضاً (الهداية العلمية)، وأما هداية التوفيق فيسمونها (الهداية العملية) ، وهذه الأخيرة يختص بها الله -جل وعلا- ، قال تعالى :** ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ **[القصص/٥٦] فنفى الله - جل وعلا - عن نبيه ﷺ . هداية التوفيق فى حين أثبت له مع غيره من الرسل هداية الدلالة والإرشاد فى قوله :** ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ **[الأنعام/٩٠]**

وأثبت له الهداية وحده فى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ **[الشورى/٥٢]**

فالمهم أن الله . جل وعلا . بيده القلوب ، وهذا واضح جداً في هذه السورة الكريمة ، فامرأة فرعون من آله وقومه ، ومع ذلك اجتباها الله – جل وعلا – وهداها بهداية التوفيق فآمنت ، وقارون من قوم موسى من بني إسرائيل ، ومع ذلك وكله الله إلى نفسه فهلك ، وكذلك أبو طالب عم النبي ﷺ لم تنفعه قرابته من النبي محمد ﷺ حال موته على الشرك ، وبين قارون وأبي طالب شبه كبير في الكفر والقرابة .

(هـ) الإيمان ملة واحدة ، والكفر ملة واحدة :

وهذا واضح في تكذيب وعناد كفار مكة للنبي – ﷺ – ، وحيدتهم عن الحق فيما يشبه حيدة فرعون وملئه ، ففرعون اتهم موسى وهارون -عليهما السلام- بأنهما ساحران ، وكفار مكة اتهموا النبي محمداً وموسى – عليهما السلام – بأنهما ساحران ، قال تعالى عن فرعون : ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ **[القصص/٣٦] و أما كفار مكة فقال عنهم الله عز وجل :** ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ **[القصص/٤٨]**

وعلى النقيض من ذلك نجد حال المؤمنين مع النبي محمد – ﷺ- يتفق مع حال المؤمنين في كل زمان ومكان وهذا ما سجله القرآن الكريم في الجملة وسجلته هذه السورة الكريمة على وجه الخصوص .

فموسى عليه السلام يصف فرعون وجنوده بالظالمين ، وكذلك صالح مدين يصفهم بالظالمين قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص/٢١]

وقال تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص/٢٥] ويحتمل أنه قال ما قاله تصديقاً لوصف نبي الله موسى – عليه السلام – ، وهذا أيضاً يدل على وحدة مشارب المؤمنين واتفاقهم .

وكذلك ثَمَّ شبه بين إعراض المؤمنين على عهد النبي محمد ﷺ عن أصناف اللغو والجهل ، وبين أهل العلم مع قارون و إعراضهم عن زينته وجهله ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص/٥٥]

وهي المفاصلة نفسها التي أعلنها العلماء مع قارون ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص/٨٠] .

(٤) غنى السورة الكريمة بالمحاور الأساسية للقصة :

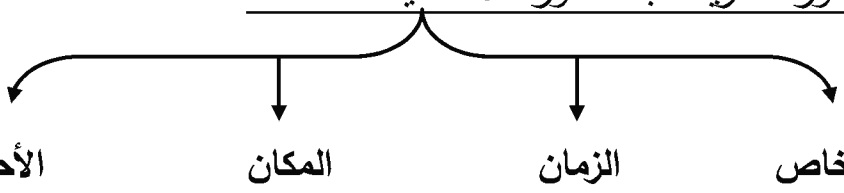

غير أن هذه النقطة قد تنتقض بوجود هذه المحاور فى سور أخرى كسورة يوسف .

(٥) تفصيل الأحداث في ضوء ولادة موسى – عليه السلام – :

ورد في هذه السورة الكريمة تفصيل ما أجمل في سور أخرى ، وكان من جملة ما فُصَّل الأحداث فيما بعد ولادة نبي الله موسى – عليه السلام – ، فجاء التصريح بالوحي بإرضاعه ، وعند الخوف تلقيه في اليم مع عدم الخوف عليه ، وكذلك جاء تفصيل قصه التقاط آل فرعون لموسى – عليه السلام – ، مع تمام جهلهم بما تصير إليه مقادير الله ، ودوران الدائرة عليهم ، وكذلك جاء التفصيل في قصة ردّه على أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ، وكذلك تفاصيل الحيلة التي احتالتها أخت موسى لإرجاعه إليهم .

(٦) تفصيل دور امرأة فرعون لإنقاذ موسى –عليه السلام– :

فامرأة فرعون كانت له بمنزلة الأم بعد فراق أمه ، ألفى عندها قرار العين ، ولمس منها الدفء ، وغمرته بوافر الحب ، وتلكم – لعمر الله – تصديق قوله تعالى : "﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ طه: ٣٩

(٧) تفصيل قصة مقتل القبطي :

قصة مقتل القبطى وردت فى القرآن الكريم إلماحاً ، ولم ترد تفاصيل الأحداث تصريحاً إلا فى هذه السورة ، ولعل ذلك لأنها بمثابة الحدث الفارق فى حياة موسى – عليه السلام – ، وحياة من حوله .

(٨) تفصيل قصة دخوله مدين وفيها :

إضلاله الطريق لمدين ، ثم دعاؤه وتوسله لربه عز وجل لهدايته ووصوله إلى ماء مدين ، ثم قصة السقي للمرأتين ، ثم مقابلة الرجل الصالح، ثم قصة زواجه وتأجير نفسه، ثم وفاؤه بأكمل الأجلين وأطيبهما ، وقفوله إلى مصر مع أهله مروراً بسيناء ، ثم الحدث الجليل حدث التكليف بالرسالة .

(٩) انفراد السورة الكريمة بذكر قصة الرجل المؤمن المحذر لموسى– عليه السلام – :

(١٠) تفصيل قصة قارون :

وذلك حتى يكتمل الاعتبار بقصص الظالمين ، فطغيان قارون منشؤه الابتلاء بالمال ، كما أن طغيان فرعون مستمدٌ من الجاه والسطة .

وصُدّرت قصة قارون ببيان قرابته من موسى – عليه السلام – لدفع شبهة من يتوهم أن للقرابة من الصالحين زلفى إلى الله ، والحقيقة أن الله لا يحابى أحداً ، لانتفاء نسبه مع عباده ، فالكل مربوب له ، مقهور بسلطانه ، ولا سبيل للفوز برضاه إلا بالإيمان والتقوى والعمل الصالح .